كتاب الشهر 14 سلسلة شراع



عبد الكريم الخطابي

(حرب الريف والرأي العام العالمي)

الطيب بوتبقالت

سلسلة شراع

كتاب شهري يصدر عن وكالة شراع
لخدمات الإعلام والاتصال

رئيس التحرير : خالد مشبال
المستشار الفني : أحمد بن يسف

مركز الإدارة
137 شارع ولي العهد ـ طنجة
الهاتف : 94.42.12
37.39.27
الفاكس : 94.42.16

العدد الرابع عشر : ذو القعدة 1417 ـ ابريل 1997

« شراع »



سلسلة شهرية لنشر ثقافة الإعلام

الثمن : 10 دراهم

« من أجل مجتمع مغربي قارئ »

« شهادة الدكتور المهدي المنجرة ، إعتراف جميل من عقل كبير يقدر جهود الآخرين ، ويقود معهم معارك التحدي والطموح " من أجل مجتمع مغربي قارئ " . »

وسام المسؤولية ..

عند إفتتاح الندوة الأولى حول « أزمة القراءة وجهوية الإعلام والثقافة » بالمعهد الإسباني في طنجة ، لم يخطر بالبال أصلاً أن يكون موضوع جائزة الدكتور المهدي المنجرة السنوية للتواصل الثقافي بين الشمال والجنوب ، ضمن فقراتها ..

ولا أظن أحداً آخر غير الدكتور المنجرة ، كان على علم مسبق بأن هذا (الإستحقاق الأدبي الرفيع) ، سيكون هذه

السنة (1997) من حظ « وكالة شراع » الفتية ، و« مؤسسة مستقبليات الدولية » ..

وبمشاعر ملتهبة ، امتزجت بانفعالات الدهشة والفرح ، تلقيت هذه المفاجأة السارة .. واكتفيت بعناق أستاذنا المهدي المنجرة كأحسن تحية على تقديره الكبير لمشروعنا الإعلامي الواعد ..

لم أجد في حينه جملة واحدة تطاوع لساني ، أرد فيها على شهادة الدكتور المنجرة عند ما قال في ختام (ندوة طنجة الرمضانية) :

ـ ... « إنه كان من الأجدر هذه السنة ، منح الجائزة الخامسة للتواصل الثقافي شمال ـ جنوب لمؤسستين ، ومن خلالهما تشريف أشخاص يعملون على تحقيق أهداف تتوخى التقريب بين الثقافات » ..

إنها شهادة مفكر منصف ، لا يشجع عن مجاملة ، ولا يتردد لحظة واحدة في مساندة ودعم ما يراه جاداً من المبادرات الإعلامية والثقافية والحقوقية ، الساعية بمثابرة وصبر إلى فتح قنوات جديدة لنشر الثقافة الشعبية ، وإقرار حق كل مواطن في المعرفة والتنوير ..

المهدي المنجرة منذ البداية كان من أوائل المتحمسين

لمشروعنا الإعلامي الطموح .. وكان أول ربان في رحلات شراع مع كتاب الشهر .. وكان « حوار التواصل » خير كتاب نفتتح به هذه السلسلة الإعلامية والثقافية التي ذاع صيتها بسرعة بين فئات واسعة من القراء المتعلمين ، يتكاثر عددهم كل شهر ..

وتعتز « وكالة شراع » أن يكون الدكتور المهدي المنجرة مستشارها الإعلامي الموجِّه والناصح ..

لا يمر مساء دون أن يتصل بنا حتى ولو كان خارج المغرب .. دائما يريد أن يطمئن على أحوال مقاولة إعلامية فتية للتواصل الثقافي ، رأس مالها الأساسي تطوع المؤلفين والتشكيليين بإنتاجهم الفكري ، وثقة القراء الأوفياء بإقبالهم المتزايد ..

حول هذه النقطة بالذات قال الدكتور المهدي المنجرة في شهادته الإعلامية وهو يقلدنا (وسام الإعتبار والمسؤولية) :

ـ ... « ألاحظ في مشروع وكالة شراع روح المشاركة .. المشاركة الداخلية بالطريقة التي يتعامل بها المساهمون ، بمن فيهم من يعملون بتلقائية وتطوع .. والمشاركة الخارجية من قبل المؤلفين المتبرعين للمشروع بحقوق التأليف ..وهذا

شيء نادر في العالم الثالث ، إضافة إلى تبرع التشكيليين بلوحات غلاف كتاب الشهر ، بحيث أن هناك تناسقاً بين النصوص والجماليات .. الجمال شيء أساسي في الحياة .. شيء أساسي في العمل » ..

« المشروع برهن لحد الآن عن استمرارية ومتابعة .. فبإصدار عددها (12) ، تحتفل وكالة شراع بسنة من عمرها » ..

« مزية أخرى لهذا المشروع ، وهي أنه مقام في منطقة عزيزة تشكل جزءاً كبيراً من ذاكرة المغاربة .. منطقة الشمال » ..

« وكالة شراع لم تعد اليوم في يد شخص أو عشرة ، أو حتى ألف ، هي حسب تقديري في يد مليون من القراء الذين قرأوا أكثر من (200 ألف) نسخة من كتب شراع الصادرة حتى الآن » ..

« أظن أن استمرارية هذا المشروع بين أيدي القراء .. في تقديري ، ومن خلال لقاءات معدودة مع بعض الباعة ، أرى أن ثلثي الذين يواظبون على شراء كتاب شراع هم نفس الأشخاص .. فهذه الوكالة أصبحت عبارة عن شبكة تواصلية .. وإذا بقيت على مستواها من حيث التعامل مع

هؤلاء المساهمين ، فهي شركة والمساهمون هم القراء » ..

تقريبا هذا هو ملخص شهادة الدكتور المهدي المنجرة في يوم منح جائزته السنوية الذي يصادف ذكرى هجوم قوات التحالف الدولي على العراق الشقيق (17 يناير 1991) ..

ولهذه الشهادة التقديرية أكثر من دلالة .. فهي أولاً تصدر عن مفكر وخبير مستقبلي ، يشتغل منذ سنوات طويلة في قضايا وإشكاليات الحوار الحضاري من خلال تقدم وتخلف بلدان الشمال والجنوب .. كما تصدر عن داعية في قاعات المؤتمرات والندوات الدولية إلى جعل الإعلام والثقافة أحد المحركات الأساسية في عملية التنمية ، وتخطي عتبات التخلف ..

والشهادة ثانيا ، تحثنا على توطيد صلات التقارب والتمازج بين نصوص التأليف ونصوص التشكيل ، لأن الكتاب في النهاية إبداع جمالي مشترك ، يغري بالقراءة والتتبع والإهتمام ..

والشهادة ثالثاً ، إعتراف جميل من عقل كبير يقدر جهود الآخرين ، ويقود معهم معارك التحدي والطموح « من أجل مجتمع مغربي قارئ » ..

وفي الغد (صباح 18 يناير 1997) ، يزور الدكتور المهدي المنجرة مقر " وكالة شراع لخدمات الإعلام والإتصال " ، ويتفقد مكاتبها وتجهيزاتها المتواضعة .. يتبادل مع أسرتها الصغيرة وجهات النظر حول طبيعة (مرحلة الإستحقاقات السياسية والديمقراطية) ، وآفاق مستقبل الإعلام والثقافة في المغرب ، وحول موقع طنجة الجغرافي والتاريخي والحضاري كمدينة متوسطية ، ومركز إعلامي مهم لحوار التواصل الثقافي بين شعوب القارتين الإفريقية والأوربية ..

وخلال حديثه معنا حول « نظام الجهة في المغرب » تمنى أن تستعيد مدن الشمال هويتها المتوسطية لتصبح حقاً ، نوافذ المغرب المشرعة على ثقافة وحضارة العالم ..

أخيراً .. وبعد ما يقرب من ساعتين في تجاذب أطراف الحديث حول قضايانا وهمومنا الوطنية ، وضّح الدكتور المهدي المنجرة دوافع ترشيح « وكالة شراع » لجائزة التواصل الثقافي هذه السنة ، مع إضافات جديدة لشهادة الأمس في قاعة المعهد الإسباني بطنجة :

ـ ... « مؤسسة شراع ، بادرة شجاعة في تحريك وتفعيل الحوار والتواصل الثقافي والإعلامي على المستوى الجهوي

والوطني .. إن مثل هذه التجربة الرائدة ، تجسد مجموعة من الأفكار التي أعمل بها ، في مقدمتها فكرة الإعتماد على النفس مع التشبع بروح الإبتكار والمبادرة .. وكالة شراع مشروع إعلامي طموح لا دعم له سوى تطوع المشاركين المتعاطفين .. إنه مشروع جميع الإعلاميين والمثقفين والقراء ، يجب أن نلتف حوله ونسانده ونشجعه » ..

ورداً على هذه المشاعر الصادقة ، لا نملك إلا طمأنة أستاذنا الجليل المهدي المنجرة وكل الأصدقاء الأوفياء ، على أن « شراع المعرفة » في المغرب ، سيواصل رحلاته الشهرية بعزيمة وصبر ، رغم أن الرياح تجري أحيانا بما لا تشتهي الأشرعة ..

ـ ... ورغم قلة الزاد والعتاد ..

***خالد مشبال**

عبد الكريم الخطابي

(حرب الريف والرأي العام العالمي)

بقلم

الطيب بوتبقالت



لوحة الغلاف :

أحمد بن يسف

كتاب الشهر 14 سلسلة شراع

« معــركة أنــوال بمثابة البــوابة الكبيــرة التي فتــحهــا أبناء الريف للدخول إلى التاريخ العالمي . »

السياق التاريخي لثورة الريف

لابد من الإشارة في البداية إلى أن هذه ليست هي المرة الأولى التي تجند فيها أبناء الريف للدفاع عن حوزة البلاد، وكرامة المواطن المغربي . فقد كانوا بالمرصاد للأطماع الإستعمارية بالمنطقة الشمالية المغربية، منذ انحطاط الدولة المغربية وضعف مكانتها السياسية والعسكرية ، وبالضبط بعد القضاء على النفوذ المغربي نهائيا في الأندلس سنة 1492 ، وهي الفترة التي تلاها - مباشرة تقريبا - احتلال مدينة مليلية من طرف الإسبان ،

وكان ذلك عام 1497 . كما أنها الفترة التي شهدت تعبئة تدريجية للرأي العام الإسباني في إطار سياسة انتقامية مفعمة بروح التوسع الإستعماري، الذي تعززه الإيديولوجية الصليبية، وتدعمه رغبة الاستكشافات لمناطق جديدة من العالم ، قصد بسط السيطرة على سكانها ونهب خيراتها ، وكان البرتغال المنافس الرئيسي لإسبانيا في هذا المجال ، وقد ضاعت منه مدينة سبتة التي انتزعها الإسبان عام 1580 .

وتحت تأثير عوامل شتى متداخلة ، تبلور فكر غربي نهضوي مادي جديد ، اشتدت معه صلابة عود الإستعمارالأوروبي إلى أن أصبح ينادي بتصدير النمط الحضاري والفكري الأوروبي، عن طريق التوغل الإستعماري المباشر في مختلف مناطق العالم ، معتبرا توسعه هذا رسالة حضارية ملقاة على عاتقه ، يجب أن تخضع لها شعوب سُمّيت بـ « البدائية » . وقد أدى تضارب المصالح بين الأطراف المعنية إلى تصعيد التكالب الإستعماري إبتداءا من النصف الثاني من القرن الماضي ، وكانت الأنظار دائما متجهة للمغرب وتحديدا للمنطقة الشمالية منه نظرا لقربها من أوروبا من جهة ، وموقعها الإستراتيجي المتميز من جهة

ثانيـــة . وفي هذه المنطقــة بالذات ، جــرت بين المغـــاربة والإسـبـان عـدة مـجـابهـات مـسلحـة ، لعل أبرزها تلك التي كانت المنـطقة مسـرحا لها في أعوام 1859/60 و 1894 و 1909 و 1912 . ويستفاد من ذلك أن الإنتفاضة الريفية ضد المستعمر، تميزت ببعدها التاريخي واستمراريتها النضالية . وفي هذا السياق تأتي معركة أنوال سنة 1921 التـي لم تكن سوى حلقة من حلقات سلسلة متصلة من الجهاد ، ذلك الجهاد الذي أصبح عنصر هوية ، وليس مجرد إفراز غريزي أو تعبيرا عن روح قتالية تمليها ظرفية معينة. إلا أنها مع ذلك حلقة سجلت نمطا جديدا وطفرة نوعية من الكفاح ، أدت إلى بلورة أسلوب متطور من الفكر السياسي والإستراتيجي، أصبح فيما بعد مرجعا معتمدا لدى جميع الحركات التحريرية في العالم . ومما لا شك فيه أن الفضل في هذا التوجه الجديد الذي عرفته المقاومة الريفية ، يعود أساسا إلى الشخصية القوية والمتزنة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي الذي رفض كل مساومة ، وترك جانبا كل الإعتبارات والحسابات التي لا تخدم هدف الإستقلال الشامل ، والحفاظ على الكرامة . كانت معركة أنوال بمثابة البوابة الكبيرة التي فتحها أبناء الريف ، معلنين بذلك

دخولهم الإنتصاري إلى التاريخ العالمي . إذ أن عمق هذه المعركة لا يقل أهمية ولا وزنا بالمقارنة مع معارك مشهورة عالميا ، كمعركة وادي المخازن والزلاقة والقادسية وواترلو وفردان .. كما أن حرب الريف عامة ، وبالنظر إلى الفترة التاريخية التي دارت فيها ، لا تقل بعدا ولا أهمية من حروب عرفها العالم فيما بعد كالحرب الكورية والحرب الفيتنامية والحرب الخليجية . ولا أدل على ذلك من كون أنظار الرأي العام العالمي أصبحت إنطلاقا من سنة 1921 بالذات ، تتحول تدريجيا إلى منطقة الريف بالمغرب لمعرفة سر هذه القفزة النوعية التي سجلها المجاهدون هناك ، ولرصد عوامل وحظوظ نجاح الثورة الريفية واحتمالات انتشارها ، خاصة بعد قرار القادة الريفيين بإعلان جمهورية الريف وتوجيه وثيقة بهذا الصدد إلى دول العالم مؤرخة بأجدير يوم فاتح يوليو 1923 . وبغض النظر عن المدلول السياسي المطلق أو النسبي لجمهورية الريف المعلن عنها ، فالذي أثار اهتمام الرأي العام الدولي هو كيف استطاعت حفنة من المقاومين المغاربة ، التصدي إلى دولة أوروبية مثل إسبانيا ، وتكبيدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات ، بل أكثر من ذلك لقد أصبحوا يهددون الوجود

الفرنسي في إفريقيا الشمالية قاطبة . ومما زاد الطين بلة ، مناهضة الجمهورية الريفية علانية للإستعمار في كل مكان ، ومناداتها لفائدة تحرير الشعوب ، هذا في الوقت الذي كانت فيه فرنسا قوة عالمية عظمى ، تحتل الصدارة ، ولها جيش نظامي عرمرم ، وأسلحة فتاكة متطورة ، إضافة إلى إحساسها بنشوة الإنتصار في الحرب العالمية الأولى التي كانت تسمى آنذاك بالحرب الكبرى . إنها حقا وثبة جريئة جعلت حتى أعداء المقاومة الريفية يكنون لها الإعجاب والإحترام ولو خفية .

● موقف الرأي العام العالمي من حرب الريف :

في هذا الإطار ، هناك اتجاهان أساسيان واضحان ، يمكن تحديدهما إجمالا بين مؤيد ومعارض للحركة الريفية . وكل من الاتجاهين يبني مواقفه على نسق إيديولوجي معين . فالتيار المعارض هو بطبيعة الحال، التيار الكولونيالي المتشبع بالفكر الإستعماري الذي له مصالح كثيرة ومشاريع لها علاقة بالمستعمرات ، حيث كان من الطبيعي أن يقف مدافعا ومؤيدا لكل السياسات التي كانت ترمي إلى تقوية النفوذ الإستعماري وخدمة أطماعه ، ولكن بأقل التضحيات . وكان هذا التيار يتكون من اليمين الأوربي

بمفهومه الواسع ، ومن النخبة الأرستقراطية بصفة خاصة . وقد انضافت إليه ، ومن تلقاء نفسها ، أصوات يهودية كانت تعتبر نجاح الثورة الريفية بمثابة القضاء الأكيد على تواجد الجاليات اليهودية بالشمال الإفريقي . كما أن انتصار الثورة الريفية ، تعزيز واضح للنفوذ الإسلامي في أرجاء العالم ، وتهديد للحضارة على حد قولها ، وهو نفس الشعورالذي عبرت عنه قطاعات نشيطة من الرأي العام في جنوب إفريقيا . وبداخل نفس التيار هناك مواقف متباينة للرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية ، البعض منها لم يخف نوعا من التعاطف مع الريفيين ، لكن الأغلبية الساحقة كانت بجانب المستعمر الأوروبي . وتجدر الإشارة هنا إلى مشاركة مجموعة من الطيارين المتطوعين الأمريكيين إلى جانب القوات الجوية الفرنسية التي ألقت بأطنان من القنابل ، بما فيها قنابل الغازات السامة ، على قرى قبائل الريف المقاتلة ، وذلك خلال صيف 1925 وربيع 1926.

- أما التيار الثاني ، فقد كان يشكله أساسا الرأي العام الشيوعي . وقد كان للحزب الشيوعي الفرنسي موقف بارز ولم تمض إلا بضع سنوات على تأسيسه ، ودخوله حلبة

الصراع السياسي الفرنسي . وكان المد الشيوعي يعرف انتشارا متزايدا في ظل الماركسية اللينينية التي بلغت أوجها مع بداية العشرينات على مستوى الكم التنظيري والممارسة الثورية . وتجدر الإشارة إلى أن الأممية الشيوعية التي تكونت مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى ، كانت تضع مقاومة الإستعمار و الإمبريالية ، كشرط أساسي للانضمام إليها من قبل الأحزاب الشيوعية الناشئة . أما الحزب الشيوعي الإسباني فقد كان محظورا، ونفوذه محدودا.

وبصفة عامة كان لليسار الأوروبي ، موقف يتسم بنوع من المؤازرة والدعاية لفائدة المقاومة الريفية ، وهو دعم اختفى مباشرة بعد استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي يوم 26 ماي 1926 للقوات الفرنسية .

هناك كذلك موقف متميز ظهر به الرأي العام في دول أمريكا اللاتينية ، حيث كان عبد الكريم ـ هكذا يسمى بطل الريف في الوثائق التاريخية الغربية ـ يقارن بسيمون بوليفار أحد رواد الحركة التحريرية هناك . أما الرأي العام الإسلامي ، فقد كان يعلق آمالا كثيرة على نجاح الثورة الريفية ، وعبر عن استنكاره في أكثر من مناسبة تضامنا مع المسلمين في الريف ، لكنه كان مغلوبا على أمره ،

سيما وأن البلاد الإسلامية في معظمها ، كانت ترزح تحت نير الإستعمار الغربي .

كانت إذن أخبار جبهة القتال في الريف تتناقلها وسائل الإعلام الدولية بكثير من الحماس الإنفعالي ، والتضارب في تحليل محتوى الحركة الريفية ، ومراميها الجهادية الحقيقية . ولعلها أول مرة يشار فيها إلى بلد اسمه «المغرب» عبر مختلف أنحاء العالم بشكل لم يسبق له مثيل ، وإذا كان من الصعب التقييم الدقيق للآثار المترتبة عن ردود الفعل التي واكبت كل مراحل تطور الحرب الريفية ، والإنعكاسات والتداعيات الناجمة عن ذلك ، فإن من بين نتائجها البارزة ، تلك التي تجلت في تحسيس الرأي العام العالمي بوجود شعب مغربي يناضل بروحه ودمه من أجل الحرية والإنعتاق.

إن مجرد هذا الإنجاز الإعلامي الضخم يعد في حد ذاته انتصارا عظيما سجله أبناء الريف ، ليس لصالح المغرب فحسب ، بل لفائدة كل الشعوب التي كانت تعاني من ويلات الإستعمار، وتطمح إلى التحرر من ربقته . يكفي الريفيين فخرا أنهم سقوا بدمائهم الطاهرة ، قيما إنسانية راقية جدا ، لعل حق الشعوب في تقرير

مصيرها ومسألة تصفية الإستعمار، من ثمار مظاهرها الحديثة . ●

« لا أحد يعلم ما يجري في المغرب »

مواقف الصحافة الإسبانية

تبنت مجمل الصحف الإسبانية الأطروحات الكولونيالية التي كانت تسهب في شرحها ، وتساهم في تطوير مفاهيمها ، لكن مع ذلك كانت المقاومة البطولية الريفية تفرض عليها نوعا من الواقعية وتدفعها إلى مراجعة مواقفها ، تحسبا منها لهزيمة عسكرية إسبانية وشيكة على يد قبائل الشمال المغربي المقاتلة . وعموما تنقسم اتجاهات الصحافة الإسبانية بالنسبة لأحداث الريف إلى اتجاهين رئيسيين . الإتجاه الأول يعكس قلق الرأي العام

الشديد وعدم رضاه لما سببته عمليات « التهدئة » في زهق أرواح آلاف الإسبانيين وإثقال عبء ميزانية الدولة . وكانت الصحافة ذات الميول الاشتراكية هي التي تجسد هذا الإتجاه ، لكنها في نفس الوقت كانت تعبر عنه بنوع من الغموض والإنتهازية . وهو الموقف الذي بدا واضحا من خلال تعاليق وتحليلات صحيفة " إسبانيا نويبا " . وأما الإتجاه الثاني: فقد كان يندرج في إطار الدعاية الإستعمارية التقليدية المدعومة من طرف أوساط رجال الأعمال ، والضباط السامين في الجيش الإسباني . وكانت تغذيه فكرة « عظمة » اسبانيا التي يجب أن تتجلى ميدانيا فى مشروع التوسع الكولونيالي . ومن أهم صحف هذا الإتجاه كورسبوندانسيادي إسبانيا التي تشبه إلى حد بعيد من حيث ترويجها للدعاية الإستعمارية الصحيفة الفرنسية اليمينية " لاكسيون فرانسيز " .

بظهورالتنظيم السياسي - العسكري الريفي سنة 1921 ، تحت قيادة عبد الكريم ، تعززت أطروحات الصحف الإسبانية التي كانت تنادي بالإنسحاب من المغرب . وهي ترى أن الصعوبات الجمة التي كانت

الجيوش الإسبانية تواجهها في الريف دليل قوي اخر ، يدعم وجهات نظرها بهذا الصدد . بينما عدلت قليلا من مواقفها المنابر الإعلامية التي كانت تنطق باسم التيار الكولونيالي ، وتتبنى سياسته التوسعية بدون قيد ولا شرط ، لكن هذا التعديل كان في لهجة المقالات أكثر منه في الإعتقاد الراسخ في ضرورة تدعيم المد الإستعماري ، وهكذا كتبت صحيفة " أ.بي.سي " يوم 29 يوليو 1921 ، مقالا مطولا تحت عنوان « قانون ميناء طنجة » معلقة فيه على الصعوبات التي يلاقيها الإسبان في إحكام سيطرتهم على المغاربة في المنطقة الشمالية ، ومن ثم بدأت تشكك في مستقبل المشروع الإستعماري الإسباني بالمغرب ، وتثير انتباه الدول الأوربية المعنية إلى أن « المسألة المغربية » غدت من جديد تهدد بالإنفجار: « إن الإمبراطورية المغربية دولة وهمية ، صنعتها الدبلوماسية الأوربية ، لتفادي المجابهات بين الأوربيين ، وهذا هو السبب في تقسيمها إلى ثلاث مناطق ، بناءا على اتفاقية 1904، المبرمة بين إنجلترا وفرنسا وإسبانيا والإتفاقيات التي تلتها ، المنطقتان الفرنسية والإسبانية تخضعان للنظام وتعرفان تطورا إيجابيا . وأما منطقة طنجة،

فإنها تتخبط في الركود الإقتصادي ، إنه وضع غير مريح وحافل بالمخاطر، إن طنجة بركان كامن ، ومادامت مشكلة طنجة لم تجد حلا ، فإن ما اتفق بشأنه سنة 1904 ، لم ينجز بأتمه ، وعليه فإن المغرب مازال يشكل مسألة بكل تشعباتها ، ولهذا فإن الأحداث التي تعرفها طنجة تترك أصداء ا عالمية » .

أوصت هذه الصحيفة ، بعدم التلويح بشبح « المأزق المغربي » أكثر من اللازم ، ووجهت دعوة غير مباشرة لفرنسا ، قصد إيجاد صيغة مقبولة لقانون طنجة المرتقب وذلك في إطار حبي وشريطة الإعتراف بالحقوق الإسبانية التي نعتتها بغير قابلة للتقادم .

بعد أسبوعين على نشر هذا المقال ، دعت صحيفة " الايمبارسيال " إلى نهج سياسة توافق وتقارب مع فرنسا في المغرب وحثت قراءها على أن « الحديث عن الحماية مع أناس يعيشون في بلاد السيبة ، لا يجدي نفعا ؛ ليس هناك سوى سياسة واحدة لا غير، إنها سياسة القوة » ، وترى الصحيفة في التجربة الكولونيالية الفرنسية ما فيه الكفاية من الوضوح لجعل المعمرين الإسبان يستعيدون الثقة في نفوسهم ويكتفون ، عند الإقتضاء ،

بتـواجـدهم في الجـيـوب المحـتلـة ، وفي مليلـيـة على الخـصـوص: « إذا مـا انهـارت جـبـهـة الأطلـس الفـرنسي ، فـإن نظام الحـماية من الرباط إلى وجدة سينهـار هو الآخر، سياسة القوة وحدها هي الممكنة في مليلية ؛ تحت غطائها سنفرض سلطة الخليفة . ولا يجب محاولة التعلق بالسلطة الدينيـة لمولاي المهدي ، لأن النفوذ الديني الوحـيد في الريف هو النفـوذ الذي يمارسه شريف وزان ، وهذا الأخـيـر مـحـمي فـرنسي . إذن ، لا يوجد بالنسبة إلينا أي مـشكل سـيـاسي نبـحث عـن حـل لـه ، المـنطق السليم يـنصـحنا بتـوفيـر العـتـاد الحربي في مليلية ». كـان من السـهل ملاحـظة مـيل الصحـيفـة إلى خـيار التـنازل الإسـباني عن المنطقة الشمـالية المغربيـة لصـالح فـرنسا ، والإكـتفـاء بالجيوب المغربية المحتلة قبل إعلان الحماية. لكنه خيار الملاذ الأخير. والواقع أن الرأي العام في إسبانيا ، لم يكن يعلم بعد أن الجـيش الكولونيـالي الإسـباني ، كـان يواجـه في المنطقة الشمالية المغربية مقاومة محكمة التنظيم ، لذلك نشرت نفس الصـحـيـفـة بتـاريخ 15 غـشت 1921 مـقـالا استهلته بهذاالسؤال: «هل من الأفضل الإعتراف بالحقيقة أو إخفاؤها؟ إننا نعتقد ، أن المنطق يفرض علينا البديل

الأول ، لأن قواتنا لا تجهل ماذا يعني إنهيار الجبهة . ثم إنه من المفيد أن تعلم البلاد الحقيقة ، حتى لا تباغت بحجم المجهودات المطلوبة منها . إن إنكارنا في إعلامنا لأي قيمة تميز فرق قتالية منضبطة ومزودة بكل شيء ، لن يؤدي إلى إنتصارنا عليها . هذا لن يحدث إلا بفضل تفوق قواتنا ، وبفضل قيادة عسكرية في المستوى» . إن قول « الحقيقة » كان يعني قبل كل شيء ، تأجيج نار الحرب الكولونيالية في المغرب ، وليس القيام بتغطية إخبارية شاملة تشرح للرأي العام الإسباني الأسباب الحقيقية للإخفاقات العسكرية المتتالية في الريف ؛ وهكذا بررت الصحفية موقفها : «يجب قول الحقيقة متى كانت الظروف تسمح بذلك . إن الجمهور سوف لن ينبهر لكثرة المدافع الريفية، ولكنه يطالبنا بالقيام بحرب علمية مع تفوق ساحق في الأسلحة».

ونشرت جريدة " أ.بي.سي " يوم 29 شتنبر 1921 ، مقالا من توقيع أنطونيو بوگيس تحت عنوان : «لا أحد يعلم ماذا يجري في المغرب». صاحب المقال يرى أن هناك اتجاهين يميزان التيار الكولونيالي الإسباني : الإتجاه المتشدد المتكون من « أنصار الحرب بدون هوادة، مع

إبادة كل الأهالي » واتجاه آخر يحبذ إتباع الإستراتيجية الليوطية (نسبة إلى ليوطي) المبنية على الحرب ، طبعا ، ولكنها مع ذلك تنتهج سياسة «الإجتذاب والتوغل الهادئ». وخلص صاحب المقال ، إلى أن حصيلة السياسة الإستعمارية الإسبانية في المغرب ، كانت سلبية ، وهو بذلك ينضم إلى الإتجاه الثاني ، منوها بسياسة الحماية الفرنسية: « لم نكن قطعا أوفياء لا لسياسة الإجتذاب ولا لنظام حرب الإبادة... ألا يحسن بنا الإقرار أننا لم ننتهج سياسة واضحة في المغرب؟ (...) إن الجانب التقني قد تحسن منذ 1909 ؛ إننا نعرف تماما الميدان ، والموارد ، وقوة المقاومة النسبية لهذه القبيلة أو تلك ... ولكن لم نقطع ولو خطوة واحدة في معرفة نفسية الريفي ، ولا في العصبية العرقية لأعدائنا ، ولهذا كان الإحترابيون الكسلاء يخطئون دائما في حساباتهم ».

كانت تحليلات هذا الإتجاه الأخير، تدفع دائما إلى التقارب و الإعتماد المتبادل بين إسبانيا وفرنسا من أجل سياسة كولونيالية تخدم مصالح البلدين في المغرب ، وكانت سياسة ليوطي الإستعمارية تبدو ناجحة وتحظى بإعجاب الإسبانيين ، وفي نهاية 1924 ، صرح ملك

اسبانيا لمراسل " ساندي تايمز " بأنه سيبدأ قريبا في المغرب ممارسة سياسة جديدة مبنية على « التوغل الهادئ » وأكد لمراسل الجريدة مايلي : « لقد تعلمنا الكثير من أخطائنا السابقة ونحن اليوم قادرون على فرض السلام المرغوب فيه . » ●

« ليس من المنصـف أن يعـاملنا الفـرنسيـون بأوراق بقـدونس ، لتهيىء شربتهم بعدما أخذوا خبزنا .. ! »

التعاون الفرنسي الإسباني في الريف

تحدثت صحيفة " أ. بي. سي " يوم 3 ماي 1925، عن المقاومة الريفية كخطر مشترك يهدد القوتين الإستعماريتين بالمغرب ، دون أن تكشف النقاب عن إبرام إتفاقية عسكرية فرنسية - إسبانية ، تهم الشمال المغربي . وتحت عنوان : « هجوم عبد الكريم على المنطقة الفرنسية » ، تبنت الصحيفة الموقف الرسمي الفرنسي من الحركة الريفية . ولاحظت أن الهجوم الريفي سبقته دعاية ريفية نشيطة في كل أسواق المنطقة . وهكذا

وصفت عمليات المقاومة الريفية: « يستعمل الريفيون في هجوماتهم على المنطقة الفرنسية نفس الخطة التي إستعملوها في منطقتنا: يحاصرون المواقع العسكرية ، دون الهجوم عليها هجوما جديا ، ويكتفون بتشديد الحصار عليها ، لكي يجبروا أرتالا كبيرة على التحرك في اتجاه المواقع المحاصرة ، عند ذلك يتصدون لهذه الأرتال ، التي تجد نفسها مرغمة على مقاتلتهم في ظروف صعبة . ويبنون خنادقهم حسب الوضع الذي يلائم جغرافية المكان مما يمكنهم من ضمان انسحابهم في حالة فشل ». وفي مقال عنوانه : « فرنسا وإسبانيا في المغرب »، علق مادحا مانويل بوين في نفس الصحيفة يوم 6 ماي 1925 ، على مقال نشرته قبل ذلك الصحيفة الفرنسية " لانترانزيجون " ، ومفاده أن التعاون بين إسبانيا وفرنسا في المغرب ، أمر يفرض نفسه . وفي نفس اليوم ادعت جريدة " السول " ، أن « الهجوم الريفي على المنطقة الفرنسية »، كان بدافع اقتصادي ، لكنها أضافت : « لا يجب أن نعزو كل شيء إلى دوافع إقتصادية ، لأن في الحركة الريفية عنصرا إسلاميا عاما ، وشعورا وطنيا ، يصعب علينا تقييمهما على وجه التحديد ، لعدم وضوحهما وقلة دقتهما » .

حدث ما يشبه التأثير المتبادل الناقص ، بين الصحافة الإستعمارية الإسبانية ونظيرتها الفرنسية . كان التعاون بين جيشي البلدين يفسح المجال أمام الصحف الكبرى الكولونيالية في فرنسا وإسبانيا ، لعرض نفس وجهات النظر دفاعا عن نفس المواقف، بحيث أننا نجد الصحيفة الإسبانية " ديباتي " تقتدي في تحليلاتها بما ورد في الصحيفة الفرنسية " ليلستراسيون "

أما " أ. بي. سي " . و" ليبرال " فكانتا ترتكزان على ما جاء في جريدة " لوتان " . بينما لم تكن الصحافة الفرنسية تعتمد على الصحافة الإسبانية إلا نادرا . وهذا شيء يبدو منطقيا ومنسجما مع ميزان القوى الكولونيالى . لأن تفوق القوات الفرنسية على القوات الإسبانية في مواجهة الريفيين هو الذي أصبح يملي على الصحافة الإسبانية خطوط الإستراتيجية الجديدة ، ويجعلها تردد وتبارك كل ما تنشره منابر الدعاية الكولونيالية التابعة لفرنسا . وقد كان للسفير الفرنسي بمدريد ، دوبريتي دولاروكا ، دور فعال في تكريس هذا الوضع . فهو الذي طور علاقاته مع كبريات الصحف الإسبانية منذ بداية الهجوم المزدوج الفرنسي ـ الإسباني على الريف ، بتقديمه كل التسهيلات لمراسليها في

المنطقة الفرنسية . كما أنه كان وراء الحملة التي خصصت خلالها الصحافة الإسبانية ، مقالات كثيرة إيجابية تهم مناقشات الشؤون المغربية في البرلمان الفرنسي ، وكمثال على ذلك كتبت جريدة " إيبوكا " يوم فاتح يونيو 1925 ، تعليقا إخباريا ، تنوه فيه بالإستعمار الفرنسي في إفريقيا عامة ، وفي المغرب خاصة: « إنها فرنسا بأسرها التي تبدي اهتماما بالغا بالعمل الجبار الذي أنجزه المارشال ليوطي في المغرب ، وبصفة عامة لكل الإمبراطورية الفرنسية الشمال ـ إفريقية ، لدرجة أن كل اعتداء على هذه الإمبراطورية ، يخلف أثرا عميقا فيما وراء البرانس ». وهو نفس الشعور الذي عبرت عنه جريدة " الموندو " يوم 2 يونيو 1925 ، وتبعتها في ذلك جريدة " ليبرال " التي ابتهجت لرؤية فرنسا ، بعد مصادقة برلمانها ، تتأهب لتسخير آلتها العسكرية لصرع « سلطة وكبرياء القبائل المتمردة ». وأعلنت صحيفة " إيمبارسيال " يوم 4 يونيو 1925 ، أن الوقت الحاسم قد حان وأن زمن الأزمات بين فرنسا وإسبانيا بشأن المغرب قد ولى . ونشر " ريمون بوانكاري " ، رجل السياسة الفرنسي المعروف ، مقالا في جريدة " لافانكوارديا " الصادرة في

برشلونة ، تحدث فيه عن « السلام مع عبد الكريم »، وكان عنوانه : « ما زالت الدودة بداخل الفاكهة تفعل فعلها ». وقد اعتمد بوانكاري في كتابة مقاله على دراسة أجراها ميشو بيلير، رئيس قسم « الدراسات الإجتماعية » ، التابع للإقامة العامة بالرباط ، والمتخصص في شؤون الأهالي . واختتم مقاله كالتالي : « نستفيد من دراسة التاريخ لقرون عديدة ، أن الريف لا يمثل دولة منفصلة عن المغرب ، ولا حتى إقليما مستقلا ، كما أن الريفيين لم يسبق لهم أن كونوا شعبا مدركا لوحدته السياسية ، إنهم مجرد قبائل غير متجانسة وخارجة عن طاعة السلطان . (...) لنعمل على رد النظام إلى نصابه ، لا يجب علينا أن نوقع سلاما ، من شأنه أن يمكن الدودة التي بداخل الثمرة أن تأتي عليها ».

هذا التواطؤ بين الصحف الفرنسية والإسبانية ، الذي تجلى في تغطيتها للعمليات العسكرية في الريف ، كان يعرف في بعض الأحيان نوعا من الإرتجاج ؛ ومرد ذلك إلى كون الصحافة الفرنسية تتمتع بحرية أوسع بالمقارنة مع الصحافة الإسبانية التي كانت تعاني من رقابة شديدة وهشاشة نسبية ، ناهيك عن ميزان القوى الذي أشرت إليه

سابقا ، وهكذا هاجمت الصحيفة الإسبانية " ديباتي " لأول مرة مع بداية شتنبر1925 ، الصحيفة الفرنسية " لوماتان " في مقال عنونته : « شؤون مغربية »، جاء فيه : « ليس من المنصف أن يعاملنا الفرنسيون كأوراق بقدونس ، لتهييىء شربتهم بعدما أخذوا خبزنا » . وخصصت " أ. بي . سي " . مقالا جاء على صيغة بلاغ رسمي اتسمت لهجته بالسخط ، وكان حول ما أسمته الصحيفة بـ « الأخبار الكاذبة »، ردت فيه ليس فقط على الصحافة الإنجليزية ، بل كذلك على بعض الصحف الفرنسية : « إنتفاضات شعبية ، عصيان وتمرد في الجيش ، إنهزامات إسبانية في المغرب ، انتصارات باهرة حاسمة حققها عبد الكريم ضد قواتنا ، كل هذه الأخبار جمعها ونشرها أناس يعيشون يوميا إلى جانبنا . (...) نتمنى أن تكون حرية إصدار الأحكام فيما يتعلق بشؤوننا الخاصة ، وبكل هذا الحماس ، من الآن فصاعدا في حدود التحفظ الذي تدفعنا إليه رعاية مصالحنا العامة وسمعة بلدنا . »

كانت الدبلوماسية الفرنسية ، تتحرك في كل مرة يشهد فيها الرأي العام الإسباني نوعا من الارتعاش ، ويسجل فيها عدم رضاه عن سير العمليات العسكرية المشتركة في

الريف ، والتعاون الفرنسي الإسباني بشكل عام . وقد وضع « صندوق خاص » رهن اشارة السفارة الفرنسية بمدريد ، قصد تطوير وتدعيم الدعاية الفرنسية بإسبانيا . وبعد المعارك الطاحنة التي دارت في صيف 1925 والخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات الإسبانية على يد الريفيين ، ظهرت تناقضات واضحة في تحليلات الصحف الاسبانية ، وحتى على مستوى الرقابة هناك تعليمات صارمة صادرة عن الجنرال جوردانا ، وأوامر تتسم بالمرونة أعطاها الجنرال بريمو دي ريبرا وكأن هذا الأخير يهيئ الرأي العام الإسباني لقبول فكرة انسحاب عام محتمل من المغرب وتطبيقها على أرض الواقع فيما بعد . ولما لاحظت السفارة الفرنسية بمدريد هذه التقلبات والترددات التي ميزت تحليلات الصحافة الإسبانية ، وكان شتاء 1925 وشيكا ، بعثت بتقرير في الموضوع الى وزير الشؤون الخارجية بباريس . ومن ضمن ما جاء في التقرير : « في هذه الحالة، واعتبارا للعلاقات التي وطدتها السفارة مع الصحافة ، والوسائل التي زودتم بها ، معاليكم ، هذه السفارة والتي سمحت لها بتجديد الإعتمادات المفتوحة لمدة ثلاث أشهر، فإنه أصبح بإمكاننا القيام بنشر الأفكار التي نود ترجيحها عبر مجموعة من

الصحف . ولنا الآن أصدقاء مستعدون للإمتثال لتوجيهاتنا بدون أن تؤدي كتاباتهم الى إيقاظ الحساسيات . فإذا كانت الآراء متذبذبة في إسبانيا ، فإن أحداث المغرب التي لم تتضح بعد نتائجها ، ربما تجعلنا نحن كذلك أمام صعوبة الإختيار الحاسم لخط سياسي معين». لكن مع بداية 1926 ، عاد التفاؤل الى صفحات الجرائد الاسبانية . وكان الحفاظ على خطة التعاون العسكري الفرنسي ـ الإسباني ، هو السر في عودة هذا التفاؤل . عندئذ تسابقت الصحف الى التبشير بانتصار قريب للجيش الكولونيالي في الريف . وتحت عنوان : « فرنسا وإسبانيا في المغرب : قبل النصر النهائي » ، نشرت " كوريسبوندانسيا ميلتار " يوم 29 مارس 1926 ، قبل محادثات وجدة بأسبوعين ، مقالا تطالب فيه الريفيين بتقديم مقترحات للسلام ، وتعلن فيه لجمهورها أن فرنسا وإسبانيا تتحركان في المغرب ، بموجب إتفاق تام بينهما . وقبل أسبوع على لقاء وجدة ، عبرت الحكومة الإسبانية عن ارتياحها الكامل للطريقة التي عالجت بها الصحافة أحداث المغرب . ونشرت صحف مدريد يوم 10 أبريل 1926 ، بلاغا صادرا عن مجلس الرئاسة بتاريخ 9 أبريل ، تقول إحدى فقراته: « إن الحكومة تجدد للصحافة

امتنانها للطريقة اللبقة والروح الوطنية التي ميزت معالجتها للقضية المغربية ، وهو الشيء الذي ساهم في تعزيز سلطة الحكومة ، وتحفيز الرأي العام ». وحث البلاغ الصحافة على التزام التحفظ والإنضباط: «الإعلان عن التواريخ والأماكن والأسماء ، وشرح الأهمية والخطة المتبعة وتقويمها أو إبداء الرأي بصدد المباحثات والعمليات المحتملة ، هو شيء غير مفيد ؛ قد يثير الفضول فقط أو يسبب في تعاليق ، يتجاهلها مسرورا الجمهور الناضج الذي يتوق الى تحقيق نتائج مرضية . وهذا هو المهم ». وفعلا كانت الصحافة الإسبانية في أغلبيتها الساحقة لينة العريكة، وتعاملت مع حرب الريف وفقا لما كانت تمليه عليها القيادة الكولونيالية من مواقف واتجاهات . ويضيف بلاغ الحكومة الإسبانية في هذا المضمار: « إن الحكومة تعتقد بكل إنصاف أنها تستحق نيل ثقة الرأي العام ، في معالجتها للقضية المغربية التي كانت دائما تشغل بالها ، والتي تعتبرها الآن دخلت في مرحلة أكثر إيجابية من أي وقت مضى . إن هدف الحكومة الوحيد هو جني ثمار المجهودات العسكرية المبذولة ، والتضحيات التي قدمها المواطنون ، من أجل إهدائها للبلاد كخدمة جديدة تم القيام بها » .

لزمت الصحافة الإسبانية الصمت بشأن الموضوعات التي أثارها البـلاغ الحكومي ، وحـصل إجـمـاع في الأوسـاط الإعلامية على الإلتزام بالتعليمات الرسمية . وكان الكل ينتظر بفارغ الصبر الإعلان عن هزيمة الريفيين . ●

« فقط الخونة والجبناء، هم الذين يهملون الدفاع عن حق الشعوب المضطهدة في تقرير مصيرها . »

الحزب الشيوعي الفرنسي وحرب الريف

في مطلع العشرينيات من هذا القرن ، كانت فرنسا إمبراطورية كولونيالية مترامية الأطراف . وكنتيجة لتجربتها الإستعمارية الواسعة ، تولدت لديها قناعة جعلتها تعتقد أنها أصبحت في مأمن من كل تغيير راديكالي ومفاجئ لمجرى الأحداث ، يجعلها تفقد زمام الأمور . وفعلا كان إحساسها شبه راسخ بعدم قدرة أي مقاومة ذات طابع محلي على إحداث زعزعة جذرية للأسس التي بنت عليها إمبراطوريتها الكولونيالية . كما أدى

الترويج الصاخب والتكرار المتواصل لفكرة « رسالة فرنسا الحضارية » إلى نوع من التنويم المغناطسي للرأي العام الفرنسي ، الذي نجحت طروحات الدعاية الرسمية في دفن يقظته . و هي طروحات تدافع عن مشروعية الحملات العسكرية وجدوى العمل الكولونيالي على المدى البعيد والمتوسط ، في نفس الوقت الذي كانت تقلل فيه من حدة الصعوبات التي كان الفرنسيون يواجهونها في مستعمراتهم . وكان الخطاب الدعائي الإستعماري يصف هذه الصعوبات بالعابرة ، ويؤكد على أنه لا بد من حد أدنى من التضحيات لتحقيق ما حققته ، وما تطمح لتحقيقه ، فرنسا في ظل سياسة توسعها الكولونيالي .

وإذا كان الرأي العام في إسبانيا يتابع بقلق شديد تطورات حرب الريف منذ سنين، وخصوصا منذ معركة أنوال ، فإن الشارع الفرنسي يكاد يجهل تماما كل شيء عن الحركة الريفية حتى مستهل عام 1925 . وسرعان ما تبين له أن المقاومة الريفية ليست كما دأبت الدعاية الإستعمارية على وصفه مجرد « بارود شرف » اعتادت القبائل المحاصرة على القيام به قبل استسلامها للأمر الواقع . ويرجع الفضل الكبير في تحريك الرأي العام الفرنسي إلى الدورالحاسم

والفعال الذي لعبه الحزب الشيوعي الفرنسي في مساندته للثورة الريفية . لقد كانت حملاته قائمة على مناهضة الإمبريالية العالمية والتنديد القوي والصريح بالإستعمار الفرنسي كسياسة وممارسة ، وكانت تحركاته ومظاهراته يطبعها العمل النضالي الملتزم والحس الثوري الملتهب .

ومن السذاجة بمكان ، الإعتقاد أن موقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الريف كان حبا في الريفيين أو تقديرا لهم بالدرجة الأولى . لقد كان قبل كل شيء تعبيرا عن مبدإ إيديولوجي من أجل إثبات الذات السياسية للحزب . وبعبارة أخرى ، فإن ما كان الريف يعطيه من فرص سانحة للتعبير عن وجود الحزب وتنمية نفوذه كتنظيم ظهر حديثا على المسرح السياسي الفرنسي ، أكثر مما كان يبذله الحزب في الدفاع عن الريفيين . وهكذا وفرت القضية الريفية الظروف الملائمة لتمكين الحزب من ممارسة العمل السياسي الملتزم في إطار تنظيم شيوعي حديث النشأة ، يبحث عن موقع له داخل حلبة الصراع السياسي بفرنسا .

و من جهة أخرى ، كانت هذه فرصة بالنسبة للشيوعيين الفرنسيين لكسب تقدير موسكو التي كانت تعتبر القلب النابض للمد الشيوعي العالمي . ومعلوم ، كما سبقت الإشارة

إلى ذلك ، أنه كان على أي حزب شيوعي ، ينتمي إلى بلد له مستعمرات ، الإلتزام بمقتضيات المادة الثامنة من القانون التأسيسي للأممية الشيوعية ، كشرط أساسي من شروط العضوية ، وهو ما يحتم عليه تعبئة كل قواه ضد الإستعمار و الإمبريالية ، ومساندة الشعوب التي تعاني من القمع والإستغلال من جراء زحف جنود الرأسمالية الهمجية وجشع البورجوازية .

أعلنت فرنسا عبر مختلف أبواقها الدعائية أنها ستقوم بتنظيم حملة عسكرية ضد الريفيين . وكتبت صحيفة " ليرتوفيل " ، لسان حال وفاق اليسار ، يوم 11 يونيو 1925 : « لم يعد الأمر يتعلق بإعادة ما قام به شارل مرتيل في حقول بواتيه ، و إنما هذه المرة في سهول ورغة ، على سفوح مرتفعات الريف » . ويمكن تحديد بداية الحملة الشيوعية الفرنسية ضد حرب الريف في النصف الثاني من سنة 1924 . ويبدو أن مندوبي الحزب الشيوعي الفرنسي الذين شاركوا في المؤتمر الخامس للأممية الشيوعية (المنعقد بموسكو من 25 يونيو إلى 3 يوليوز 1924) ، قد عبروا رسميا عن إلتزامهم بالقيام بعمل سياسي فعال ضد الإمبريالية الفرنسية بالمغرب . وكان زينوفيف ، رئيس

الأممية الشيوعية، في غاية الوضوح عند تطرقه للمسألة الكولونيالية : «فقط الخونة و الجبناء هم الذين يهملون الدفاع عن حق الشعوب المضطهدة في تقرير مصيرها ، وهو الدفاع الذي يجب أن يستمر حتى يتحقق تحرير هذه الشعوب من قوى الإضطهاد » . و في 12 شتنبر1924 ، كتبت " ليمانيتيه " ، جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي : « هزم عبد الكريم طرفا واحدا من أطراف الإمبريالية » . وأرسلت قيادة الحزب في نفس اليوم برقية إلى هيريو ، رئيس الوزراء ، تقول : « يجب الجلاء عن المنطقة الفرنسية وإعطاء المغاربة حريتهم » . كما تم إرسال برقية أخرى إلى عبد الكريم لتهنئته على فوزه النهائي على الإسبان ، ولتشجيعه على مواصلة الكفاح ضد كل أطراف الإمبريالية، بما فيها فرنسا ، إلى أن يتحقق تحرير التراب المغربي .عبرت كذلك البرقية عن إستعداد البروليتاريا الفرنسية والأوربية على مساعدة الزعيم الريفي .

وهكذا ، فكلما إتضحت نية فرنسا في تدخلها عسكريا في منطقة الريف ، كلما توطد عزم الحزب الشيوعي على الوقوف ضد هذا المشروع الكولونيالي ، ولما تم الإعلان عن

العمليات العسكرية الفرنسية - الإسبانية المشتركة ، كان الحزب الشيوعي الفرنسي على أتم إستعداد لتعبئة عناصره وتحسيس الرأي العام الفرنسي بخطورة أحداث المغرب ، التي يدفع ثمنها أبناء الطبقة المحرومة من الشعب الفرنسي ، من عمال ومزارعين . وقد بدا واضحا أن الحزب الشيوعي الفرنسي قد أوشك على تحقيق الإنفراد بموقف سياسي في تباين متزايد مع مواقف التيار الإشتراكي من حيث الصرامة في تعامله مع المسألة الكولونيالية . ●

« سنغور يدعوالآباء الفرنسيين إلى منع ذهاب أبنائهم للقتال ضد الريفيين المغاربة . »

« مهرجان لونبارك »

في عدد 2 مـاي 1925 ، أعلنت صحيفة " ليمانتيه" لقرائها : «لقد شنت الجيوش الفرنسية غاراتها على عبد الكريم » . و في 5 مـاي ، قدمت الدعاية الرسمية الفرنسية نبأ بداية المجابهات في المنطقة الشمالية المغربية ، وادعت أنها مجرد عملية عادية من عمليات « التهدئة » ، وفي نفس اليوم ، أفادت وكالة " هافاس " في برقية لها من الرباط ، أن هذه العملية موجهة ضد « المنشقين » وأن الريفيين هم

المعتدون ، فقط صحافة الحزب الشيوعي الفرنسي هي التي إنفكت تماما عن هذه الدعاية الرسمية التي كانت تشكل الخط المحوري لباقي الصحف الفرنسية ، بتفاوت جد نسبي . وانبثق عن إجتماعات سرية عقدتها التنظيمات المركزية التابعة للحزب الشيوعي ، بمقر جريدة " ليمانتيه " وكذلك في مقر الحزب بباريس ، برنامج عام للتصدي لدعاية الإستعمار الفرنسي المتعلقة بالمغرب ، في ثلاث نقط :

1 - ضرورة تنظيم لقاءات ومظاهرات ضد العمليات العسكرية في المغرب .

2 - تعبئة الشبيبة الشيوعية في باريس وضواحيها ، لتنشيط الدعاية ضد الإستعمار في صفوف الجالية المغاربية العاملة بفرنسا .

3 - توجيه نداءات إلى الجنود الفرنسيين للتآخي مع الريفيين .

وكان الحزب قد وجه النداء يوم 13 ماي 1925 قصد شن حملة واسعة النطاق ضد « حرب المغرب ». وهو النداء الذي تأسست على إثره نفس اليوم «لجنة العمل المركزي »، وقد إنضم إلى هذه اللجنة ، إضافة إلى ممثلين عن الحزب ،

ممثلون عن الكونفدرالية العامة للعمل الوحدوي ، والفيدرالية الوطنية للشبيبة الشيوعية ، والجمعية الجمهورية لقدماء المحاربين ، وقد أنيطت مهمة تنظيم مهرجان خطابي تعبوي كبير بهذه اللجنة ، وهو المهرجان المعروف في السجل النضالي للحزب بـ « لقاء لونابارك» الذي أقيم يوم 16 ماي 1925 خصيصا لمساندة الريفيين .

● **مهرجان لونابارك الخطابي :**

أفادت تقديرات وزارة الداخلية أن لقاء لونابارك جمع حوالي 3500 شخص ، أما جريدة " ليمانيتيه " ليوم 17 ماي 1925 ، فقد قدرت عدد الذين حضروا هذا اللقاء بما لا يقل عن 15000 شخص . ومهما يكن من أمر ، فإن الإقبال على مهرجان لونابارك كان لابأس به . والأهم من ذلك هو أن هذه التظاهرة الخطابية كانت إيذانا بالإنطلاقة الفعلية ، والمنظمة على مستوى التأطير ، لحملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد سياسة وتصرفات الإستعمار الفرنسي في المغرب عامة ، وفي منطقة الريف على وجه الخصوص .

إفتتح المهرجان أشغاله على الساعة التاسعة وعشر دقائق من مساء يوم 16 ماي 1925 ، وكان أول من أخذ الكلمة هو الكاتب العام لنقابات " السين " ، حلل فيها

أحداث المغرب بالموازاة مع تلك التي شهدها البحر الأسود عام 1918 : « هاتان الحربان ليستا دستوريتين ، إننا نتمنى أن يحدث عصيان في صفوف الجيش الفرنسي الموجود على خط النار في مواجهة الريفيين ، وسيكون هذا شرف للطبقة العمالية الفرنسية » . وقال ممثل الفيدرالية الشيوعية لمنطقة باريس : « لقد وعد تحالف اليسار بالسلام خلال الإنتخابات البلدية ، وهكذا صوتت لصالحه ملايين من العمال ، معتقدة أنها صوتت لفائدة السلام ، إنه لمن الضروري أن تكون جماهير التحالف على علم بذلك » . وندد المتحدث بسياسة حكومة التحالف ، التي اعتبرها خاضعة لأوامر بنك باريس و الأراضي المنخفضة ، ومستنيرة بمشورة ودعم الزعماء الإشتراكيين . كما دعا الجماهير الكادحة إلى القيام بعمل مشترك ضد الإمبريالية ، انطلاقا من تظاهرة قوية ضد الحرب الجارية في المغرب : « إنها حرب طويلة ودموية على الأبواب : حرب حبلى بتعقيداتها الدولية . رفاقي العمال ، احذروا ! شكلوا لجان وحدتكم العمالية ، وعبروا من خلالها عن موقفكم المضاد للحرب الإفريقية ، هيئوا ، عبر دعاية مكثفة ، مؤتمرا تعبر فيه شغيلة المنطقة الباريسية للحكومة عن إرادتها في إنهاء الحرب الريفية

والجلاء فورا عن المغرب » . وبعد ذلك ، أخذ الكلمة جاك دوريو، العمدة الشيوعي لمقاطعة سان دوني ، معيدا إلى الأذهان حملة جون جوريس ضد حرب المغرب : « لو أن هذا الخطيب الشعبي البليغ مازال على قيد الحياة ، لأدان المارشال ليوطي والإشتراكيين الذين خانوا القضية العمالية العالمية بتصويتهم على الميزانية » . وأكد دوريو على أن مسؤولية سقوط آلاف من الجنود الفرنسيين فوق التراب المغربي ، تقع كاملة على الإمبرياليين والصيارفة الذين جذبتهم وفرة المعادن وإمكانية فتح أسواق جديدة . ومن أجل تحقيق ذلك ، قضت نحبها هناك أعداد من الفرنسيين والإسبانيين . وأعطى لمحة موجزة عن تطورات القضية الريفية : « إن الشعب الريفي لم يكن يريد الحرب . في سنة 1922 ، طلب عبد الكريم وساطة إنجلترا ، وكان الرد هوالرفض ، فتقدم الى فرنسا وأرسل مبعوثين الى ليوطي ، وكانت نفس النتيجة ، إن فرنسا لا تريد السلام . ومنذ 1924 ، أتبعت خطة حربية أخرى ، ورغم استفزازات ليوطي ، فإن الريفيين يريدون السلام . لقد بدأت الطائرات الفرنسية بقنبلة قرى ريفية معزولة ، وأقيم حصار شديد على الريفيين ، كما أن منطقة ورغة التي تعتبر مخزن الحبوب

بالنسبة للريفيين ، يوجد الآن جزء منها تحت احتلال الجيوش الفرنسية ، إنها المجاعة »، ووجه دوريو أمرا للجنود الفرنسيين يدعوهم فيه للتآخي مع الريفيين . بعده ، تدخلت سيزان جيرو لتخاطب جمهور النساء ، مذكرة بأهوال حرب 1914 وعمليات « حشو الدماغ » الدعائية التي واكبت هذه الأحداث الأليمة : «إن رفيقاتنا العاملات يتذكرن كيف تم حشو أدمغتهن سنة 1914 . لهذا ، فإنهن لن يسمحن ، هذه المرة ، باختطاف أبنائهن للدفاع عن مصالح الرأسمالية الدولية . ومن جهة ثانية ، فإن النساء يردن الدفاع أكثر فأكثر عن حقوقهن السياسية ، ولهذا جئن بكثرة إلى هذا المهرجان . إنه من الضروري أن تقوم النساء بدعاية مستمرة ضد حرب المغرب، في المعامل ، في الأوراش ، وفي الإدارات » .

وباسم الجالية الشمال - إفريقية بفرنسا ، ألقى الكلمة محمود بن الأكحل ، الذي دعا المسلمين إلى عدم إعطاء أي مصداقية للدعاية الكولونيالية الخاصة بحرب المغرب ، ونادى بإعلان الكفاح ضد « الطغاة من كل الأعراق » ، مضيفا : « إن الريفيين سيشترون غدا ببضع دولارات ، فرنكات ، جنيهات ، وماركات ، لأن المسلمين تركوهم

للإبادة ، وهم إخوانهم الأشقاء في الدين وفي القلب » .
وألح بن الأكحل في كلمته على مكافحة البورجوازية الاوروبية بالإعتماد على الحزب الشيوعي الفرنسي ، واختتم قائلا : « ماذا تنتظرون ، معشر المسلمين ، لقد آن الأوان لتتحرروا من نير الإمبريالية الفرنسية والدولية ، باسم قبائل الجزائر ، ادعوكم لتحرير الريف » . وعبر لامين سنغور، الذي سيصبح فيما بعد رئيسا للسنغال وكان إذاك يعمل ساعيا للبريد في فرنسا ، عن استيائه بصدد حملة التعبئة العامة التي استهدفت السود في بلده ، لأجل تجنيدهم ضد الريفيين : « تتم اليوم عملية حشو أدمغة السنغاليين ، تماما كما حدث ذلك بالنسبة للعمال الفرنسيين عام 1914. ويقال لهم إنهم سيواجهون الجنود الفرنسيين ، في حالة رفضهم التعبئة» . ودعا سنغور الآباء الفرنسيين لمنع ذهاب أبنائهم للقتال في المغرب ، كما ندد بحالة العبودية التي توجد عليها شعوب إفريقية مختلفة ، بفعل الإمبرالية الأوروبية . وكانت هذه العبارة ختاما لخطابه : « ياشعوب كل البلدان ، اتحدوا ، كسروا أغلالكم ، وتآخوا » .

وباسم الجمعية الجمهورية لقدماء المحاربين ، تمنى ديكلو

لهذا المهرجان أن يخلف آثارا واسعة ، حتى يتضح لعبد الكريم أن الطبقة العمالية الفرنسية ليست في شيء من هذه الحرب المفروضة من طرف الرأسمالية الدولية . وأن البرولتاريا الفرنسية لاتتحمل أي مسؤولية في هذا الشأن ، وأضاف : « يجب أن تقطع البحر أصداء هذا المهرجان ، لتبلغ الريفيين ، الذين يكافحون من أجل الدفاع عن بلدهم ، تحيات الشغيلة الباريسية » . وانتقد فرانسوا شاسين ، العضو في اللجنة الخاصة بالإعلام السياسي للحزب الشيوعي ، مواقف الصحافة البورجوازية التي تجزم أن حرب المغرب ماهي إلا مجرد عملية أمنية : «إن الخسائر في صفوف قواتنا هامة ، ونتوصل من مصادر مختلفة بأخبار مصرع رفاقنا ، وفي كل يوم تغادر قوافل دعم عسكرية جديدة في اتجاه المغرب ، إن هذه الحرب طال أمدها ، ومن الواجب على جنودنا أن يتآخوا مع الريفيين » . كما انتقد ترانْت الرقابة الشديدة التي يمارسها تحالف اليسار الخاضع لنفوذ الأوساط المالية . واختتم المهرجان أعماله على الساعة الحادية عشرة والربع ليلا بقراءة البيان الختامي الذي تمت الموافقة عليه بالإجماع . وكان كليمان ديسيسكلاد ، عضو مكتب التنظيم باللجنة المركزية للحزب ، هو الذي ألقى

التقرير النهائي : «إن العمال البارسيين الـ 15000 ، المجتمعين بلونا بارك ، وبعد استماعهم لمختلف التدخلات ، ليعلنون عن تنديدهم بالطبيعة اللاقانونية لحرب المغرب . وهي حرب أرادتها وخططت لها منذ سنتين الطغمة العسكرية بالرباط ، إمتثالا لأوامر التكتلات المالية وبنك باريس والأراضي المنخفضة ، من أجل الإستحواذ على ثروات الريف المعدنية ، وإخضاع الشعب الريفي . هذا الشعب المسالم الذي قدم تضحيات جسام من أجل الحفاظ على استقلاله . لذا يعبر المجتمعون بلونابارك عن إرادتهم في مكافحة هذه المجزرة بكل الوسائل النضالية الفعلية ، الكفيلة بتحقيق سلام فوري في الريف ، والإعتراف بالجمهورية الريفية ، والجلاء عن المغرب » .

يمكن القول ، بعد مهرجان لونابارك الخطابي ، أن حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد حرب الريف قد رسمت أفق العمل النضالي ، وأشارت إلى طبيعة الوسائل التي يمكن توظيفها لبلوغ ذلك الهدف . ولم يبق إلا الممارسة الميدانية الفعلية لتجسيد الإلتزام داخل فضاء إيديولوجي واضح المعالم ، أصبح يفرض نفسه في المعترك السياسي الفرنسي . ●

« لم يكن الحزب الشيوعي الفرنـسي يتراجع أمام قمع أنصاره في المغرب. »

سياسة التهدئة

تجند الحزب الشيوعي الفرنسي لمواجهة كل الإحتمالات ، وبدأت عملية شد الحبل بينه وبين السلطات الكولونيالية داخل فرنسا وخارجها ، لقد شن حربا دعائية شعواء ضد الرأسمالية والإمبريالية الدولية التي غرست مخالبها في الأراضي المغربية لاستنزاف خيراتها وإذلال أبنائها . وكان تضامنه مع الريفيين بالقول والفعل معا . دامت الحملة عدة شهور بدون انقطاع ، وزعت خلالها عشرات الآلاف من المناشير والملصقات والإعلانات الثورية

التحريضية ، البعض منها تم إرساله سرا إلى المغرب لتحسيس الرأي العام المحلي وخاصة إلى المجندين الفرنسيين والعمال الأوروبيين المقيمين بالمغرب . وعقدت عدة ندوات ومؤتمرات داخل فرنسا لمواصلة التعبئة ودعم موقف الحزب من الحرب الريفية ، وكانت الشرائح الإجتماعية المستهدفة من هذه الحملة ، تتكون أساسا من العمال والطلبة والجنود والمزارعين والجالية المغاربية المقيمة بفرنسا. وخصت جريدة " ليمانيتيه " ، لسان حال الحزب الشيوعي ، تغطية مكثفة لهذه الحملة ، معلنة بين الفينة والأخرى عن إعتقالات ومداهمات تعرض لها أعضاء الحزب . وفي مقال نشرته في عددها بتاريخ 31 ماي 1925 ، جاء في العنوان الرئيسي : « إن الحرب هي التحالف المقدس لمتزعمي التهدئة »، ويفيد عنوان فرعي أن الحكومة الفرنسية تقوم بعمليات «التهدئة » داخل فرنسا نفسها . وهو مقال يهاجم حكومة تحالف اليسار التي كانت تنتهج سياسة كولونيالية تعتمد على السلاح والدعاية الكاذبة . وكتبت " ليمانيتيه " بهذا الصدد : « يتابع تكتل اليسار سياسته بنوع من الهدوء ، والصحافة البورجوازية لا تعير اهتماما للإعتقالات و المداهمات

التي أعلنا عنها هذه الأيام ، إنهم يريدون أن تكون الحرب المغربية حربا تحظى بقبول شعبي . لهذا ، فإنهم لا يحبون أن تتطرق الصحافة إلى الإستياء العميق الذي عم الطبقة العمالية نتيجة للمذبحة المغربية » .

ولمكافحة آثار الحملة الشيوعية في أوساط الجالية المسلمة الشمال - إفريقية ، قررت الحكومة الفرنسية ترقية قدور بن غبريط إلى مرتبة وزير شرفي مفوض مطلق الصلاحية ، وكان يشغل منصب قنصل فرنسا العام ورئيس جمعية أراضي الحبوس وأماكن الإسلام المقدسة . وفي هذا الموضوع ، كتبت صحيفة " إيكودوباري " ، يوم 22 ماي 1925 ، تعليقا إخباريا : « تم منح هذا الوسام ، في الإدارة الفرنسية ، للمرة الأولى لمسلم فرنسي . وهو تأكيد من الحكومة الفرنسية على الرعاية التي يحظى بها مسلمو شمال إفريقية ، إعترافا لهم بتعلقهم الوفي بفرنسا » .

وتواصلت حملة الحزب الشيوعي في مطاردتها للدعاية الرسمية ، محاولة جذب أنظار الرأي العام الفرنسي وجعله يشجب سياسة تحالف اليسار البربرية ، وعقد ما لا يقل عن 82 ندوة عمومية أو جمعا جماهيريا ، 70 منها خلال سنة 1925 ، و 12 مع بداية 1926 ، هذا ، بغض النظر

عن التجمعات التي نظمتها الشبيبة الشيوعية ، كما قام الحزب الشيوعي بتأطير 7 مؤتمرات للعمال و الفلاحين ، خلفت إنعكاسات كبيرة . وكمثال على ذلك ، المؤتمر العمالي ، المنعقد أيام 4 و 5 يوليوز 1925 ، الذي جمع 2470 مندوبا . وكان الهدف منه هو تجسيد الإحتجاج العمالي ضد حرب الريف . وقد كانت من بين نتائجه ، تعيين «لجنة لتقصي الحقائق » التي طلب من أعضائها السفر الى المغرب لمحادثة الجنود والجرحى ، ثم العودة إلى فرنسا لتقديم تقرير مفصل أمام المجالس الشعبية في باريس والأقاليم الفرنسية الأخرى . ووافق هذا المؤتمر كذلك على قرار يقضي بشن اضراب عام . وهو إضراب نظمته فعلا أجهزة الحزب ، وشنته الطبقة العمالية في كثير من القطاعات يوم 12 أكتوبر 1925 ، أما فيما يخص «لجنة تقصي الحقائق » ، فقد أبحرت مجموعة من الأسماء البارزة على مستوى قيادة الحزب في اتجاه الجزائر ، حيث واصلت رحلتها نحو منطقة الحماية الفرنسية عبر وهران . لكن البعثة الشيوعية لم تتمكن من أداء مهمتها ، لأن المارشال بيتان ، القائد العام للقوات الفرنسية بالمغرب ، أعطى أوامره بمنع أعضائها من

الدخول إلى التراب المغربي ، وإرجاعهم إلى الجزائر التي كانت تعتبر امتدادا للتراب الوطني الفرنسي .

وهكذا ، لم يدخر الشيوعيون الفرنسيون جهدا في حملتهم ضد حرب الريف ، ولم يكن الحزب الشيوعي الفرنسي ليتراجع أمام أساليب القمع التي طالت عددا من المنتمين إليه ، مع أن هذا التنظيم السياسي لم يستوف بعد السنة الخامسة من عمره ، فقد نشرت جريدة " ليمانيتيه " حصيلة أولية ، في 13 أكتوبر 1925 ، للممارسات القمعية التي استهدفت الشيوعيين و المتعاطفين معهم ، وكانت الحملة في أوجها ، وهذه الحصيلة الأولية تمثلت في إدانة 113 شيوعيا بالسجن لمدة إجمالية وصلت إلى 68 عاما ، وحوالي 40000 فرنگ غرامة ، وبعد ذلك بشهر ارتفع عدد الإعتقالات ليناهز 400 إعتقال بسبب حرب الريف ، ورغم ظروف الحصارالمضروب على الريفين ، والرقابة الشديدة على جميع المستويات ، ويقظة أجهزة المخابرات ، فإن الشيوعيين استطاعوا النفاذ إلى الرأي العام المحلي في المغرب ، وزعزعوا شيئا ما الإقامة العامة بالرباط . ●

« عبـد الكريم استطاع بحـنكته القيـادية ، أن يصنع حداً لـطاغوت ليوطي في المغرب ، وأجبره على تقديم استقالته كأول مقيم عام للجمهورية الفرنسية . »

الشيوعية في المغرب

لعل من الإنتصارات السياسية البارزة التي حققها الريفيون في مجابهتهم للفرنسيين في المغرب هي تلك التي تجلت في استقالة المارشال ليوطي . إن هذا الأخير كان حقا داهية استعمارية وذا باع طويل في ميدان العمل الكولونيالي المتطور . لقد استطاع أن يبني مؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب على أسس من التضليل والخداع والتحايل الماكر ، مما أضعف في كثير من الأحيان مقاومة الشعب المغربي للهجمة الإستعمارية . وكان هذا المقيم العام

يحظى باحترام وتقدير اليمين الكولونيالي والأسر الأرستقراطية بفرنسا . كما كانت الأوساط العسكرية والسياسية الفرنسية تعترف له بكفاءته العالية في مجال الإستراتيجية العسكرية والدعاية الحربية ، إلى درجة أن فرنسا استدعته في غمرة الحرب العالمية الاولى لتوليه منصب وزير الحرب . وبعد شهور معدودة على توليه هذا المنصب ، رجع إلى المغرب ليواصل سياسة « التنظيم المتحرك » أو « بقعة الزيت » التي كان يطلقها على نهجه الكولونيالي التوسعي . لكن الريفيين كانوا له بالمرصاد وكسروا شوكته ، ولم يبالوا بأكاذيبه الإصلاحية ، ولم تخفهم أو تنل منهم استراتيجية استعراض العضلات مع التظاهر باحترام الشرعية والتودد الزائف التي كان ليوطي يحسن إتقانها . لم يكن عبد الكريم من طينة التهامي الكلاوي ، باشا مدينة مراكش ، الذي صرح للصحافة الفرنسية : « بالنسبة لبلد كفرنسا ، لا يجب أن تكون هناك مسألة ريفية . نحن نعرف بلدكم ونحبه ، ونعتبر أن عبد الكريم من المشاغبين الذين عرفناهم من قبل ، وما أكثرهم » . فبفضل استماتتهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم ، استطاع الريفيون أن يضعوا حدا لطاغوت ليوطي في المغرب

وإجباره على تقديم استقالته من منصبه كأول مقيم عام للجمهورية الفرنسية بالمغرب .

وطبعا ، قبل استقالته المؤرخة بـ 28 أكتوبر 1925 ، كان عليه أن يواجه حملة الحزب الشيوعي الفرنسي المؤازرة لكفاح الريفيين .

عموما كانت الدعاية الكولونيالية تتعامل مع تظاهرات وتحركات العناصر الشيوعية على أساس أنها من قبيل تلك التي كانت تقوم بها العناصر الإسلامية . وهذا الخلط المقصود كان الهدف منه هو تكريس الجهود وتوحيدها لمواجهة عدوين لدودين في آن واحد : هما التيار البلشفي والتيار الإسلامي . وبناءا على تقارير المخابرات بشأن التحركات الشيوعية ضد حرب الريف ، وضعت الحكومة الفرنسية قبل بداية الهجوم العسكري المزدوج على الريف بقليل ، ما أسمته بنظام الدفاع الموحد ضد الدعاية الشيوعية بإفريقيا الشمالية . وهكذا ، توصل ممثلو السلطات الكولونيالية الفرنسية في كل من الرباط و الجزائر وتونس إضافة إلى الوزير الفرنسي المنتدب بالقاهرة والمفوض السامي الفرنسي ببيروت ، بنفس البرقية التي كان مصدرها وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية بباريس . وهذا نصها : « يجب التبليغ

من الآن فصاعدا ، وكل ما أمكن ذلك ، عن كل التحركات ، بين بلدان إقامتكم وبلدنا ، التي يقوم بها الفرنسيون أو أجانب يشتبه في اقدامهم على ربط علاقة بين الحزب الشيوعي الفرنسي والاممية الشيوعية أو تنظيمات تابعة لها » . ورغم كل الإحتياطات المتخذة ، فقد تسربت مناشيرالحزب الشيوعي إلى المغرب ، وتم توزيعها سرا في الأوساط الشعبية . لكن شرطة الحماية والمصالح التابعة لها سرعان ما استعقبتها وجمعت الكثير منها .

إلا أن عملها هذا أصبح غير مجدي ، لأن محتوى المناشير هبت عليه رياح الأشاعة فتطاير في كل الإتجاهات . في هذه المناشير دعوة صريحة ومباشرة موجهة إلى الشعب المغربي لكي يثور ضد مضطهديه الرأسماليين ، تحت قيادة عبد الكريم ، بطل استقلال المغرب . وبما أن الإقامة العامة كانت تتمتع بسلطات مطلقة منذ إعلان حالة الحصار في شهر غشت 1914 ، فقد تم إصدار أوامر صارمة باجراء كل الإعتقالات اللازمة في جميع الأوساط التي قد تشم منها رائحة الشيوعية أولها صلة معينة بحملة الحزب الشيوعي ضد حرب الريف وذلك بدعوى « الحفاظ على النظام العام وسلامة الجيش » . وسجلت عدة حالات تمرد في صفوف

وحدات القوات العسكرية في مكناس ، قالت السلطات إنها من الآثار المباشرة للحملة الشيوعية المساندة للريفيين . وبعد إلقاء القبض على بعض العناصر الفارة من الجيش واستنطاقهم ، تم توجيه التهمة إلى كاريت بوقي ، مدير أسبوعية كانت تصدر في الدارالبيضاء تحت عنوان " لوكري ماروكان " ، على اعتباره الرأس المدبر لتنظيم سري يعمل على تنشيط الحملة الشيوعية داخل صفوف الجيش لحث الجنود على العصيان ومساعدة الفارين منهم بتزويدهم بجوازات سفر مزورة ومدهم بالمال الكافي لسد نفقات السفر إلى فرنسا ، بعدها يمكن لهم الإتصال ببرلماني شيوعي معروف يدعى ڤايون كوتيريبا للحصول على شغل والتخلي نهائيا عن الجندية . وهكذا تم إلقاء القبض على مجموعة متهمة بضلوعها في هذا التنظيم السري ، من بينهم رئيس جمعية السككيين ، وكاتب الحزب الإشتراكي رئيس فيدرالية الجمعيات المهنية ، ورئيس الرابطة العمالية للرباط ، ورئيس جمعية البناء . كما صدرت أوامر بإبعاد عدد من الفرنسيين يبدو أنه كانت لهم علاقة بالحملة الشيوعية . واعتقل واحد من كبار الموظفين بالإقامة العامة التي اتهمته بمد التنظيم المشار إليه بوثائق

سرية .

و من جهتها قامت السلطات الإستعمارية بالجزائر بحملات تفتيش مكثفة أسفرت عن العثور على عدة مناشير شيوعية تصب كلها في الحملة الشيوعية ضد حرب الريف وتحرض الشعب المغربي على الإنتفاضة ضد الاستعمار الأوربي وقوى الإستغلال ، وقد برأت هذه المناشير العمال والفلاحين وقسما من الجيش من خدمة مصالح المستعمر ، بل أكثر من ذلك ، لقد وقفوا ـ تقول المناشير ـ منذ البداية ، في كل من فرنسا وإسبانيا ، ضد كل حملة عسكرية كولونيالية . وجاء في منشور حرر باللغة العربية أن هذه الشريحة من المواطنين الفرنسيين تصيح بأعلى صوتها مرددة : « عاش استقلال المغرب » . ومن الجدير بالذكر أنه تم صدور أمر بمنع جريدة " ليمانيته " في منطقة الحماية الفرنسية . لكن مع ذلك كانت أعداد منها تصل إلى المغرب وتوزع خفية . واكتشفت صاحبة مكتبة بوزان (وكانت يهودية تدعى بن حيون تعمل لصالح المخابرات الفرنسية) عددين من الجريدة الشيوعية وقد لفا بداخل طرد وصلها من باريس ، وهذا ما دفع الإقامة العامة إلى مراسلة وزارة الداخلية بفرنسا تطلب منها تشديد الحراسة

على مستخدمي وكالة " هاشيت " الذين يُعتقد أنهم كانوا وراء دس مناشير وجرائد ممنوعة في طرود عادية موجهة إلى المغرب . وفي خضم هذه الحملة ، تحرك أصدقاء ليوطي داخل فرنسا لمؤازرته ، وكان منهم أعضاء العصبة الفرنسية للدفاع عن المصالح الحيوية لفرنسا ومستعمراتها ، وهي جمعية ذات المنفعة العامة كان يرأسها الجنرال وبيي . لقد عبروا عن دعمهم اللامشروط للمقيم العام في صراعه مع الريفيين ومكافحته للدعاية الشيوعية . حيث أصدروا بيانا جاء فيه : «إن أعضاء اللجنة الإدارية والمجلس الوطني للعصبة الفرنسية ، في الجمع العام بتاريخ 13 يونيو، يعبرون عن ولائهم بالثقة للمارشال ليوطي ، ويفضحون المناورات الشيوعية الهادفة إلى تسليح وتشجيع عصابات عبد الكريم المتعاطية للنهب والخارجة عن طاعة السلطان . ويعربون عن أملهم بإلحاق قصاص شاق بهذه التصرفات الإجرامية أيا كانت جهات مصدرها » .

وهكذا ، استطاعت الحملة الشيوعية أن تشغل إلى حد ما بال المصالح الإستعمارية بالمغرب وتساند الريفيين معنويا في كفاحهم ضد العدوان والطغيان . وهو الشيء الذي لم يستطع القيام به الحزب الشيوعي الإسباني ، الذي تأسس

هو كذلك سنة 1920 ، لأن الديكتاتور بريمودي ريفيرا أصدر الأوامر في شتنبر 1923 بحظره ومنع أنشطته . وتقترب من حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد حرب الريف ، من حيث الحدة والحسم في الموقف ، بعض الصحف الألمانية ولكن لأسباب تغلب عليها خلفية النزاع التاريخي الفرنسي - الألماني . ●

« لولا تدخل القوات الكولونيالية الفرنسية ، لما قامت لإسبانيا في المنطقة الشمالية المغربية قائمة . »

مصير عبد الكريم

لشد ما كان غيظ و إحباط الرأي العام الإسباني وهو يتلقى نبأ استسلام القائد الريفي للقوات الفرنسية ، إلى درجة أنه يمكن معها مقارنة هذا الإحباط بالأثر الذي قد يخلفه نبأ الفشل التام لكل الحملة العسكرية الإسبانية في الريف . إن مظاهر الإنتصارية و البهجة والحبور المنتظرة لم تحدث كما كان متوقعا . وكانت هذه الحسرة وخيبة الأمل العميقة شعورا يميز أكثر ما يميز ضيق رجل الشارع الإسباني الذي تلقى بمرارة قصوى خبر استسلام

عبد الكريم للفرنسيين . أما السلطات السياسية والعسكرية الإسبانية العليا فقد كانت تعلم علم اليقين أنه لولا تدخل القوات الكولونيالية الفرنسية لما قامت لإسبانيا في المنطقة الشمالية المغربية قائمة ؛ لأن الريفيين منذ معركة أنوال والمواجهات التي تلتها أصبحوا في وضع يمكنهم من إلحاق هزيمة نكراء بالإسبانيين ، وفعلا كانت روحهم القتالية العالية وبسالتهم الميدانية المذهلة من بين المؤشرات الواضحة على أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق نصر مكين ضد الإسبان .

ومحاولة منها لإخفاء هذا التذمر العام ، نشرت صحيفة " لاناسيون " ، الناطقة باسم تكتل الوحدة القومية ، يوم 6 يونيو 1926 ، تعليقا محللة فيه أسباب النصر الذي حققته إسبانيا في المغرب ، وحصرتها في أربعة:

1 ـ الهجوم على الحسيمة هو الذي سدد ضربة في العمق للكيان الريفي ، وذلك رغم ما كانت تعتبره أركان الحرب الإسبانية و الأجنبية أمرا يصعب القيام به . ويرجع الفضل في نجاح هذا الهجوم إلى القرار الصائب والإرادة القوية للمركيز ديستلا العظيم .

2 ـ صلابة الموقف الإسباني بينت على أن مباحثات وجدة

اقترحها عبد الكريم فقط لربح الوقت و إعادة بناء قواته . فبفضل حنكتهم وذكائهم ، استطاع الإسبان إحباط هذه المناورة وإنقاذ الفرنسيين من الوقوع في فخها .

3 ـ السلطة العسكرية كانت على أتم استعداد ، وهذا ما مكن الإسبان من الوصول إلى تخوم غمارة منذ الوثبة الأولى .

4 ـ تخلت قيادة العمليات عن أساليب الخطط السابقة التي كانت تتميز بالتوقف كلما أحرز تقدم إلى الأمام . وهكذا تمت ملاحقة العدو بدون هوادة إلى عقر داره ، مما حال دون تمكن هذا الأخير من استعادة قواه .

كانت الصحيفة ترمي من وراء هذا التحليل المبسط والساذج ، قبل كل شيء ، إلى رفع معنويات الجيش الكولونيالي المنهارة من جراء الخسائر الفادحة التي تكبدها في صفوفه، وبصفتها المنبر الدعائي لكتلة الوحدة القومية ، فقد كانت تعبر في نفس الوقت عن الموقف الرسمي للحكومة الإسبانية ذات القناعة الإستعمارية المتجذرة .

وعلى أي فإنه يمكن القول بأن التعاون الفرنسي - الإسباني و الإتفاقيات العسكرية بالذات ، فيما يخص

التنسيق المشترك للعمليات ، قد بلغت الأهداف المسطرة .
وعلى ضوء هذه النتائج ، انطلقت مباحثات باريس لإعادة ترتيب الأوراق و الدخول في مرحلة ما بعد الثورة الريفية ، وبهذا الصدد صرحت الحكومة الإنجليزية أن المسائل المطروحة تهم فقط فرنسا وإسبانيا . وهو ما دفع الصحافة الإسبانية إلى جعل تعاليقها تنحصر في إطار ثنائي ، فرنسي - إسباني . وفي تعليقها على مفاوضات 13 يونيو بباريس ، سعت " لانسيون " إلى إبراز الدور الذي لعبه الجنرال بريمو دي ريفيرا، وأعلنت أنه : « خلافا لما أوحت به بعض الصحف الأجنبية ، فإن المفاوضات ستتعلق فقط بالنقط التي تدخل في إطار الصلاحيات التي خصت بها اتفاقية الجزيرة الخضراء فرنسا وإسبانيا ، دون تدخل عناصر أجنبية » . وهو ما عادت لتأكيده صحيفة " أ.بي.سي " في عددها بتاريخ 26 يونيو 1926 حيث جاء فيه : « خضوع القبائل التي تفصلها الحدود بين المنطقتين لوحدة السلطة القضائية ، تطبيق نظام مماثل فيما يتعلق بالإمتيازات والإلتزامات التي تهم القبائل المتواجدة في المنطقتين ، تنسيق العمل العسكري والسياسي على أمتداد تراب الحماية ، مصير عبد الكريم وزعماء التمرد ، كلها

أسئلة لا تهم أي دولة أخرى ...» ، لكن جريدة " انفرماسيونس " رأت أن الفرنسيين «يثيرون مشاكل تخرج عن نطاق الإتفاق الثنائي ، وتتطلب تدخل طرف ثالث » . وكان مصير عبد الكريم ، إلى جانب مخطط « التهدئة » ، من بين المشاكل الرئيسية التي أخذت حيزا زمنيا هاما في مفاوضات باريس . هذا مع العلم أن المقاومة في الريف لم تخمد نارها تماما باستسلام عبد الكريم الخطابي ، وكان تقنيو الإستعمار الفرنسي بالمغرب يعتقدون أن اسبانيا على استعداد للتخلي عن منطقتهم . ويبدو أن الإطاليين كان لهم نفس الإعتقاد ، ولهم رغبة في الحصول على مقابل إذا ما تحقق توسيع المنطقة الفرنسية على حساب الإنسحاب الإسباني ، بيد أن إسبانيا ، وبدعم من إنجلترا ، أصرت على الإحتفاظ بكل منطقة نفوذها . وابرق كوربوس باركا، مراسل جريدة " السول " ، يوم 25 يونيو 1926 من باريس : « قرر مفاوضو باريس عدم الإلحاح على تسطير الحدود ، والإستناد إلى التقسيم السياسي الوارد في معاهدة 1912 » . وفي حديث لـ " ساندي تايمز " ، نشر يوم 27 يونيو 1926، صرح الجنرال بريمودي ريفيرا : « إذا لم يكن بالإمكان فرض

سيادتنا على طنجة، كما هو الحال بالنسبة لسبتة ومليلية ، فإننا نرغب على الأقل أن تكون طنجة داخل منطقة حمايتنا » . وعزا الجنرال النتائج التي حققها الإسبان في المغرب إلى قيام نظام حكمه وإلغاء النظام البرلماني .

انتهت مفاوضات باريس في الأسبوع الأول من يوليوز 1926 ، وفي العاشر منه كتبت " أ.بي.سي " : « عززت اتفاقية باريس التعاون بين فرنسا و إسبانيا في المغرب ، وهو التعاون الذي أعطى نتائج سياسية وعسكرية ممتازة منذ يوليو 1925 » ، ونشرت " نوتيسيرو ديل لونس " ، يوم 12 يوليو 1926 ، بعض الإيضاحات حول نتائج مؤتمر باريس ، منها :

- الإتفاقية الفرنسية - الإسبانية الجديدة لا تخرج عن إطار الخطوط العريضة التي رسمتها إتفاقية مدريد ، المبرمة بين البلدين قبل ذلك بسنة .

- تمت الموافقة على نظام الحدود البحرية والبرية .

- يمكن للقوات الفرنسية أن تتدخل في المنطقة الإسبانية إلى أن تتم « تهدئة » شمال المغرب .

- محاربة التهريب و البحث عن « غير المرغوب فيهم » ، في المنطقتين ، موضوع يترك لإتفاقية منفصلة بين

البلدين .

- يتم انسحاب القوات الفرنسية من المواقع التي احتلتها متى كانت القوات الإسبانية قادرة أن تحل محلها .

- يحسم في مسألة الحدود في عين المكان ، وذلك وفقا للخطوط العريضة التي رسمتها الإتفاقية الفرنسية - الإسبانية لسنة 1912 .

- تم الإتفاق بشأن مصير عبد الكريم

هكذا ، تم القضاء على الإنتفاضة الريفية في شكلها الثوري المنظم ، وحصل الإتفاق بين القوى الإستعمارية بناءً على المصالح المشتركة من جهة ، وعلى استراتيجيات كل طرف على حدة من جهة أخرى ، وبعد مؤتمر باريس بأسابيع معدودة ، قام الفرنسيون بإبعاد الزعيم عبد الكريم إلى جزيرة لاربينيون في المحيط الهادي . وتوقفت حملة الدعاية التي كانت تقوم بها الصحف الإسبانية لفائدة سياسة الإستعمار الفرنسي بالمغرب . وصرح هارتادو ، المدير السياسي لجريدتي " لبرال "و" هرالدو "، أنه غير قادر لمتابعة دعمه الدعائي لصالح الإستعمار الفرنسي ، لأن « الغضب الشعبي ضد عبد الكريم » طال فرنسا التي استسلم لها ، والتي لم تسلمه لإسبانيا .

ومن الجدير بالإشارة إلى أن الفرنسيين لم ينظروا إلى عبد الكريم وكأنه مجرد سجين حرب وحسب ، بل اعتبروه سلاحا إستراتيجيا بالنسبة لمستقبل فرنسا الكولونيالي في إفريقيا الشمالية قاطبة . وهناك تقرير مفصل بهذا الشأن ، محرر بالرباط بتاريخ 14 يونيو 1926 ، لهذا اتسمت معاملتهم له بنوع من الليونة والتقدير . ●

« إسم عـبد الكريم سـيبـقى حيـا في الريف .. سـيبـقى على شكل مشروع للإستقلال . »

مواقف الصحافة الألمانية

كان تعاطف الرأي العام الألماني مع الريفيين واضحا في كثير من ردود الفعل التي سجلتها الصحافة الألمانية بنوع من المرارة ، وكأن الكفاح الذي كان يخوضه أبناء الريف ، ضد فرنسا على الخصوص ، هو نفس الكفاح الذي كان على الألمان خوضه مباشرة غداة معاهدة فرساي ، لكنهم وجدوا أنفسهم في وضع لا يسمح لهم بمواصلة القتال ، وهناك من يرى خلاف ذلك ويساند فرنسا وإسبانيا في هجومهما على الريف . إلا أن هذا الإتجاه

الأخير كان ضعيفا مقارنة باتجاه التعاطف الجارف مع الريفيين بناءا على القاعدة المعروفة : عدو عدوي هو صديقي .

ومن جديد برز المغرب في العلاقات الفرنسية الألمانية كموضوع ساخن وقضية مرشحة للمزيد من التوتر ، سيما وأن الصحافة الفرنسية تتهم ألمانيا صراحة بالوقوف إلى جانب الريفيين ، وهو ما كذبته السفارة الألمانية بباريس ، كما أن الصحافة الألمانية كانت دائما تكذب كل الأخبار المتعلقة بتواجد ضباط ألمان يعملون في صفوف المقاومة الريفية ، وحدث أن ورد اسم فورستر تقول عنه قصاصة لوكالة " فورنيي " الفرنسية إنه ضابط سابق بأركان الحرب العامة الألمانية يعمل كمستشار عسكري لعبد الكريم ، وتفيد القصاصة أن هناك ضباطا ألمان آخرين في صفوف الريفيين ، من بينهم الماجور فون طاننبيرج . وهو ما كذبته وكالة الأنباء الألمانية " فولف " ، في بلاغ لها بتاريخ 5 غشت 1925 : « إن أخبارا من هذا النوع لم يسبق لها أبدا أن صدرت عن مصادر رسمية ، وأنه غالبا ما يتم تكذيبها في المغرب مباشرة بعد صدورها . ولقد ارتأينا أن نستفسر الجهات المختصة لأن الأمر يتعلق هذه المرة بأسماء محددة ،

فأفادتنا هذه الجهات أنه لا يوجد على الإطلاق ضابط ألماني اسمه فورستر ينتمي إلى أركان الحرب العامة ، كما أنه لا يوجد على الإطلاق أي ضابط يحمل اسم طانتبيرج ينتمي إلى الجيش الألماني » . وطلب وزير خارجية فرنسا من سفير بلده ببرلين أن يثير انتباه الحكومة الالمانية الى مواقف الصحافة الألمانية المعادية لفرنسا ، مؤكدا على أن « أخطاء من هذا القبيل لا تخدم سياسة الإنفراج المتبعة حاليا من طرف الحكومتين ». وبطبيعة الحال استمرت الصحافة الألمانية في تغطيتها لأحداث الريف غير مبالية بتحركات الحكومة الفرنسية الهادفة إلى كبح جماحها والتقليص من لهجتها المعادية لفرنسا والمناصرة للريفيين .

وفي مقال لها بتاريخ 5 ماي 1925 ، أعلنت جريدة " همبورجرفرمد نبلاط " ، أنه يجب إعادة النظر في المسألة المغربية برمتها . وحللت صحيفة " برلينربورسن كوريي " « الوضع في المغرب » ، في مقال نشرته يوم 6 ماي 1925 ، متسائلة عن مدى متانة الروابط بين القبائل الريفية ومدى التفافها حول عبد الكريم في مجابهته مع الفرنسيين . وقالت هذه الصحيفة إن مجرد ذكر اسم «المغرب » وحده يكفي لثوران الأعصاب . وهي ترى أن

المسألة الكولونيالية تهدد هذه المرة ، أساسا ، باندلاع أزمة فرنسية بريطانية قبل أن تشمل بلدانا أخرى : « إننا نتذكر أحداثا مرت عليها الآن عشرون سنة ، عندما أثارت ألمانيا ، بنهجها سياسة المماحكة ، حفيظة فرنسا دون أن تمنع احتلال المغرب بالقوة والمال (...) ماذا سيحدث لو ضيع الإسبان الساحل كذلك ، وماذا سيحدث لو تقدمت فرنسا إلى المضيق ، إنها خلخلة للإستراتيجية الإنجليزية . وفي حالة مقايضة سبتة بجبل طارق فإن وضع فرنسا سيتضرر (...) عندها ستصطدم فرنسا بإنجلترا ، وأقل ما ينجم عن ذلك هو ارتفاع حدة الخلاف بينهما ، وهذا لا يخدم السلام العالمي » . وفي اليوم الموالي ، حملت جريدة " كولنيشو فولكستسا يتونج " مسؤولية الهجوم على عبد الكريم لفرنسا . وتساءلت هذه الجريدة في مقالها تحت عنوان « نشاط فرنسا بالمغرب » ، عن مستقبل العلاقات الدولية ، مشيرة ضمنيا إلى فترة ماقبل 1906 والتناحرات الدبلوماسية بين القوى الإستعمارية في تكالبها على المغرب ، ونشرت جريدة "ماينزنر تسايتونج " ، يوم 8 ماي 1925 ، مقالا جاء فيه ، «إن فرنسا تمارس عمليا ، بواسطة الحماية ، سيادة سياسية تحاول توطيدها وتدعي أنها

بذلك تبعد الخطر الذي يهدد المصالح الأوربية ». وعبر ألكسندر فون تانتسبورج في جريدة زيدديوتشو تسايتونج ، عن تعاطفه بوضوح تام واعترافه بالجميل للريفيين ، حيث كتب يقول : « بالنسبة لنا ، نحن الألمان الذين توقفنا عن القتال قبل الأوان ، مسألة واحدة يجب أن تكون دائما نصب أعيننا :إن المكافحين الريفيين الشجعان ، الذين منذ آلاف السنين لم يتركوا قدما أجنبية تدوس أعناقهم ، يستحقون كل تعاطفنا العميق . إنهم يضعفون سياسة الزعامة الفرنسية في أروبا ، ويجعلون فرنسا تخفض صوتها أمام إنجلترا ، ويجبرونها على سحب جيشها العدواني من منطقة الراين . إن كفاحهم هو كفاحنا » . ونقلت كل من جريدة " اريبترتسايتونج " في عددها بتاريخ 3 يونيو1925 ، وجريدة " بايريشر تسايتونج " ليوم 10 يونيو1925 ، هذا النبأ : «منذ مدة ، يلاحظ نوع من التذمر في صفوف الجيش الكولونيالي في منطقتنا (مانهايم) ، وهو ناجم عن أحداث المغرب وما يفرضه ذلك من صرامة أكثر في نظام الجيش ، وقد تحول هذا التذمر إلى مجزرة قتل خلالها أربعة ضباط ، وحكم على إثرها على خمسة عشر مغربيا بالإعدام رميا بالرصاص ».

ولما أعلن عن استسلام عبد الكريم ، عبرت صحف ألمانية كثيرة عن إستيائها العميق . وهكذا ، كتبت جريدة " ديسلدوفر ناخريشتن " ، يوم 27 ماي 1926 ، مقالا بعنوان : «نهاية عبد الكريم » ، ومن ضمن ما جاء فيه : « إن تعاطف كل أوربا يرافق ، في المعسكر الفرنسي ، الزعيم الريفي البطل الذي كان ، لمدة سنين طوال من الكفاح ، روح حركة التحرير في القبائل المغربية . تأسفنا شديدا لانهزامه ، ليس على أساس أنه كان عدوا لفرنسا ، ولكن لأنه كان يجمع ما بين الإستماتة العنيدة ومهارة القائد العسكري . ولأنه كثيرا ما حقق انتصارات من أجل الدفاع عن حقوق شعب مضطهد ، رغم التفوق الهائل لقوات دولتين أوربيتين كبيرتين » . وفي عددها الصادر بتاريخ 27 ماي 1926 ، نشرت جريدة "راينيشو فستفاليشو تسايتونج "، تعليقا على الحدث : « يمكن للحفاء أن يحتفلوا ايما احتفال بانتصارهم ، لكن ليعلموا أن الإنجاز البطولي الحقيقي هو الذي حققه أولائك الذين كان سلاحهم مجرد بندقية تصدوا بها خلال سنين للدبابات والطائرات والألغام » . وكتبت جريدة " كولنيشو تسايتونج " يوم 27 ماي 1925 : «لقد انسحب من مسرح الأحداث ذلك الرجل الذي احتل الصدارة

لمـدة خمـس سـنوات مـن التاريخ المعـاصر » . وحلـلت " بفليتسيشو روندشـاو " ، في عـددها بتـاريخ 28 مـاي 1926 ، فشل الحركة الريفية على أنه فشل مؤقت لا غير : «إنه من حق فرنسا أن تحتفل بانتصارها ، لكن اسم عبد الكريم سيبقى حيا في الريف ، سيبقى على شكل مشروع للاستقلال . إن الفكرة التي من أجلها ناضل من المحتمل أن تعيش بعده ».

وهكذا ، كانت مواقف جل الصحف الألمانية معبرة بكل وضوح عن تعاطف الرأي العام الألماني مع أبناء الريف في كفاحهم ضد الإستعمار الأوربي وخاصة ضد الفرنسيين . والواقع أن هذا التعاطف كانت له علاقة وثيقة بالحقد التاريخي الدفين الذي يكنه الشارع الألماني لفرنسا ، ومعزز كذلك بآلام الجراح التي خلفتها الحرب العالمية الأولى والتي مازالت آنذاك لم تندمل . ●

« لم تظهر إلا مقالات قليلة تـتوخى نوعا من الإتزان الإعلامي في معالجة الأحداث .. »

ترتيب الأوراق

لكونها تشكل قوة كولونيالية متوسطة الحجم ، كانت إيطاليا تسعى قبل كل شيء للحصول على توسيع نفوذها وتعزيز موقفها الإستراتيجي المتوسطي . ولهذا كانت أجهزتها الإعلامية تتابع عن كثب تطورات الحركة الكولونيالية بالمغرب ، وكانت تعتبر حرب الريف بداية لتقلبات كبيرة سيترتب عنها تغيير في معطيات النسق الكولونيالي ذي البنيات المتداعية . وبهذا الصدد نشرت جريدة " كوريرا ديطاليا " ، يوم 5 ماي 1925 ، برقية من

باريس مفادها أن إيطاليا تقدمت باحتجاج رسمي إلى الحكومة الفرنسية يتعلق بأحداث المغرب . وتحديدا كانت إيطاليا تحتج على العمليات العسكرية التي تقوم بها فرنسا خارج حدود منطقة حمايتها في اتجاه الريف . وهي تعني بذلك المنطقة التي حررها الريفيون وطردوا الإسبان منها ، لكن لا تعترف للريفيين بأي وجود سياسي ولا تعير أي اهتمام للمقاومة الريفية . لهذا فإن إيطاليا ترى أن الإنسحاب الإسباني تحت ضغط الريفيين يعني شيئا واحدا : هو أن المنطقة المنسحب منها أصبحت بفعل الواقع داخل نطاق النظام الكولونيالي الدولي ، وعليه فإن مشكلة اقتسامها تبقى مطروحة حتى يتم البث فيها بين الأطراف الإستعمارية القادرة على إثبات وجودها . وقد كانت إيطاليا تتطلع إلى لعب دور أكبر ويسودها الإعتقاد أن استفادتها من الإقتسامات الكولونيالية السابقة كانت ضعيفة بالنظر إلى ما يخوله لها مركزها السياسي والإستراتيجي في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط . وظهر في جريدة " كسيطا ديلبوبولو " ، يوم 13 ماي 1925 ، مقال تحت عنوان «حرب الريف وإيطاليا » يوضح الموقف الرسمي الإيطالي بلهجة خفيفة فيما يتعلق بأطماع إيطاليا

الإستعمارية ، وبلهجة عنيفة فيما يتعلق بالتعامل مع المقاومة الريفية : « لابأس ، إنه لا نزاع في حق الفرنسيين في طرد قطاع الطرق الريفيين من أودية ورغة ، لكن بمجرد أن تطأ قدم كتيبة واحدة من المشاة الزواوية المنطقة الاسبانية ، فإن الاطراف المعنية : إسبانيا ، إيطاليا و إنجلترا في المقدمة سيحتجون لدى باريس . إنه من غير المقبول رفع العلم الفرنسي فوق المنطقة التي انسحبت منها إسبانيا » .

وفي معرضها للحديث عن مشروع تسوية مشكوك فيه بين بريمو دي رفيرا وعبد الكريم ، كتبت نفس الجريدة : «إن فرنسا ترفض المشروع الذي من شأنه إذا طبق أن يفرض عليها تواجد حكومة إسلامية ، مقاتلة ، بلشفية ووطنية على السفح المتوسطي من إمبراطوريتها الإفريقية ».

لامانع ، إذن ، في كون فرنسا تقوم بـ « عمليات أمنية » في المغرب ، لكن شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى مراجعة جديدة لما يعرف في الدبلوماسية الكولونيالية بـ « المسألة المغربية »التي تعتبرها إيطاليا قد انتهت ولو أنها لم تحصل منها على ما كانت تطمح إليه . وتضيف الصحيفة : «سوف لن تقبل إيطاليا تغيير التوازن في

المتوسط الغربي على حسابها ، وهذا ماحدث كثيرا في الماضي » .

إنفجار الوضع الكولونيالي بالمغرب وضرورة إعادة ترتيب الأوراق فيما يتعلق بتوزيع الكعك المغربي بين أطراف القوى الإستعمارية لما فيه فائدة إيطاليا ، كان تقريبا هو الهاجس الذي ميز تعامل جل الصحف الإيطالية مع القضية الريفية . وهذا ما تتطرقت إليه جريدة " الرينكو " ، في عددها بتاريخ 13 ماي 1925 ، وقد جاء في مقالها عنوان رئيسي يشير إلى «مغامرة عبد الكريم الجنونية » ، حيث كتب ماسيرو، مُوَقِّع المقال : « إذا كان اتجاه تغيير المعاهدة الفرنسية الإسبانية يزداد تأكيدا في ماوراء البرانس ، فإننا سنجد أنفسنا في حالة تحتم علينا تيقظا كبيرا . إن إحداث تعديل في نسق التوازن الذي وافقنا عليه ، لا يهم فقط فرنسا وإسبانيا ، وإنما هو مشكل يتعلق بالسياسة المتوسطية التي تهم إيطاليا بنفس قدر اهتمام إنجلترا » .
وحثت جريدة " الرينكو " على تعبئة الرأي العام الإيطالي دفاعا عن مصالح إيطاليا الإستعمارية . ونادت الصحيفة كذلك بالخروج نهائيا من دائرة « الخمول الأثيم » التي كانت إيطاليا توجد بداخلها ، حيث ترى الجريدة أن فتور إيطاليا

في كل ما يتعلق بالقضايا الكولونيالية هو السبب في ضعف النتائج المحصل عليها في هذا المجال . وفي 15 ماي 1925 ، نشرت جريدة " سيسيليا نوفا " ، قصاصة لمراسها بباريس تطرق فيها للعمل السياسي والعسكري للحماية الفرنسية بالمغرب تحت قيادة ليوطي ، وما يجب على إيطاليا القيام به إذا ماتم احتلال الريف من طرف الفرنسيين ، تقول إحدى الفقرات : «لكن ، إضافة إلى عمل دفاعي ، يجب التأهب إلى عمل هجومي : بعدما تهزم فرنسا عبد الكريم ، يمكن أن ترفع علمها فوق الريف وتستولي عليه مستثمرة ومستغلة لصالحها ، تحت غطاء قانوني ، هذه الفرصة الثمينة . وبعد ؟ بعدها ستتعدى القضية المغربية بكل تأكيد مدلولها المحلي . وسيتبين أن ما قامت به فرنسا لم يعد مجرد إجراء أمني ، ولكن أصبحت له أبعاد أكبر ، وخاصة بالنسبة للإيطاليين : إننا لازلنا نتذكر ما قامت به فرنسا في شرق الجزائر . إنه حقا تذكير مؤلم وتجربة قاسية : إنها تونس التي ضيعناها ! » .

وتحت عنوان « حرب المغرب تهدد بتكلفة غالية ستدفعها فرنسا » كتبت جريدة " كوريرا " ، الصادرة بمدينة تورينو ، مقالا بتاريخ 4 يونيو 1925 ، موجهة الطعنة إلى الدعاية

الكولونيالية الفرنسية ومقللة من مصداقيتها : «إن الحالة في المغرب أكثر خطورة مما يعتقد في فرنسا . إن التلميحات لا تجدي . أن نتكلم عن عملية أمنية كما يفعله البعض في باريس ، معناه مغالطة الجمهور عن قصد » . وخصص ألكونت سفوررزا ، وزير خارجية إيطاليا سابقا وسفيرها بباريس سابقا ، مقالا تحليليا في جريدة " كوريرا ديلاسرا " ، مركزا على الأخطاء الإستراتيجية التي ارتكبتها فرنسا في تعاملها مع القضية الريفية : « إن خطأ الفرنسيين ، وبالأحرى قادتهم ، كان هو تفرجهم الماكر على متاعب إسبانيا . كان على السيد بوانكاري والمارشال ليوطي أن يفهما أن عبد الكريم سينقض في يوم ما على المغرب الفرنسي . كان الفرنسيون يعتبرون أنفسهم واقعيين ، كما اعتبروا أنفسهم واقعيين في منطقة " رهور " ولم يتضح لهم أن الإمتياز الذي توفره التحالفات أفضل بألف مرة من حسابات الهيمنة " الماكيافلية " ، إنه لم يعد في أوربا الحالية تجزيئات مفصولة عن بعضها البعض . كل أوربا أصبحت مترابطة في الخير والشر » . وعلى هذا الأساس ، يرى ألكونت سفوررزا أنه يجب على كل الأوربيين ، الذين لهم مصالح في إفريقيا الشمالية ، ترصيص الصفوف ، وأن

لا يوهموا أنفسهم بالهدوء السائد من وهران إلى الإسكندرية . والإشارة هنا ضمنيا إلى احتمال وارد لانتشار المد الثوري الريفي ليشمل أقطارا عربية مستعمرة تنتمي إلى منطقة جيو- ستراتيجية لا يمكن إغفال دور إيطاليا فيها .

وهكذا ، واصلت الصحافة الإيطالية تغطيتها للأحداث الريفية من زاوية الدفاع عن الأطماع الكولونيالية الإيطالية . ولم تظهر إلا مقالات قليلة تتوخى نوعا من الإتزان الإعلامي في معالجة الأحداث . وقد تميزت جريدة " لاستنبا " بتغطية مكثفة نسبيا عن باقي الصحف الإيطالية . ●

« ليوطي الرأس المدبر للعمليات التي أوقفت الهجوم الريفي . »

« العاصفة الريفية »

بفضل مراسلها في المغرب ، أرنالدوسيبولا ، استطاعت جريدة " لاستنبا " الإيطالية أن تقوم بتغطية أكثر كثافة ، وذلك مقارنة بباقي الصحف الإيطالية . ولم تكتف بتغطية أحداث الحرب الريفية فقط ، بل انكبت في الكثير من مقالاتها على تحليل بعض معطيات نظام الحماية الفرنسية مع صبغة التشويق الدعائي الكلاسيكي التي كانت تطبع في بعض الأحيان كتاباتها . وهكذا ، خصصت " لاستنبا " مقالا ، يوم 20 ماي 1925 ،

تحدثت فيه عن «مغامرة عبد الكريم » وعن الدور الهام الذي كانت تلعبه مصالح الإستخبارات الفرنسية بالمغرب :
« لعله من المفيد الإشارة إلى أن هجوم عبد الكريم كان متوقعا ، والذين يؤكدون أن هذا الهجوم فاجأ القيادة الفرنسية يجهلون وجود جهاز رائع يشكل القاعدة الأساسية للحماية ، ويتعلق الأمر بمصالح الإستخبارات التي تعمل إلى جانب القواد المغاربة الكبار . ويُسَيِّرُ هذه المصالح ضباط لهم إلمام كبير بمعرفة البلد . وفعلا ، لقد أثاروا الإنتباه إلى هذا الخطر في الوقت المناسب » . وفي 26 ماي 1925 نشرت " لاستنبا " لنفس المراسل ، مقالا يشير إلى ميول ليوطي لتفضيل النظام الملكي ، ويؤكد ، على عكس الدعاية الليوطية ، أن ازدهار منطقة الحماية الفرنسية هو ازدهار سطحي فقط ، وأن فرنسا ، على كل حال ، تتمتع في المغرب بظروف أفضل مما هو الشأن بالنسبة لإسبانيا ، كما أنه تم اكتشاف المغرب من طرف الإيطاليين قبل الفرنسيين بكثير . ويضيف سيبولا في مقاله : « ولكن في الحقيقة ، المغرب هو اليوم بلد كثر حساده ، والفرنسيون يحبون إظهار غيرتهم على امتلاكه ، وإنني بكل إخلاص ، أشاطرهم هذا الشعور » . ويرى سيبولا أن احتلال المغرب لم

يعد مشكلة : «من الذي وقف ضد الوجود الفرنسي بالمغرب وما يزال ؟ إنهم أولئك الذين ليس لديهم ما يخسرونه في هذا الصراع : قبائل الجبال الوعرة ، البدوية والفقيرة . وليست غالبية المغاربة الذين يعتبرون من ألطف وأطيع العرب » .

لقد كان سيبولا من خلال مقالاته واضحا في تزكيته للدعاية الكولونيالية الفرنسية ، ويرى مثلا أن وسائل النقل قد طورها الفرنسيون كثيرا في سعيهم لبناء مغرب حديث ، إلى درجة أن « حتى الجمال أصبحت متحضرة ، بحيث أنه كلما أحست باقتراب سيارات منها ، انزاحت جانبا و لم تعد تعترض طريق السيارات كما هو الحال قبل عشر سنوات » . إن هذا الجانب الدعائي الترفيهي في مقالات سيبولا لتسلية القارئ، لم يكن ليخفي الإنشغالات السياسية الإيطالية في المنطقة أو ليصرف النظر عن أحداث الريف بالذات . وهكذا، جاء في مقال له بتاريخ 2 يونيو 1925 : « وإجمالا ما يشغل بال القيادة الفرنسية على الخصوص ليست هي قوات عبد الكريم المتحصنة والمستقرة في " ببان " ومناطق أخرى في الشمال ، ولكنها دعاية مبعوثي عبد الكريم الذين يجوبون البلاد ويتعذر إلقاء القبض عليهم . لقد أصبح القلق

يعم البلاد بسبب تلك الأحداث » . ودفعت به هذه الملاحظة إلى مقارنة المغرب بباقي بلدان إفريقيا الشمالية : «إن المغرب ليس كبلدان الشمال الإفريقي الأخرى التي هي عبارة عن مجموعة من القبائل بلا وعي جماعي ولا بما يمكن أن نسميه روحا وطنية . على العكس ، إن للمغرب هوية تاريخية ودينية تركتها الحماية بدون تغيير » . في حين بدا له ليوطي في وضع يفرض هذا التساؤل : هل سياسة ليوطي جاءت نتيجة لتضافر عوامل شتى لصالحه ، أم أن ليوطي تمكن فعلا من غرس جذور الإستعمار الفرنسي عميقة في المغرب ، بحيث يصعب على العاصفة الريفية اقتلاعها ؟

كما قارن الدعاية الفرنسية ضد الريفيين بدعاية فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ضد الألمان نظرا لاستعمالها تقريبا نفس الشعارات الدعائية : حيث قورن عبد الكريم بغليوم ، واتهم القائد الريفي بمشاريعه الإمبريالية بما فيها خلع السلطان ، كما أن الهجوم على فاس وصف بـ « ناخ فاس » ـ عبارة ألمانية معناها : في اتجاه فاس ـ ، ومعركة فاس وصفت بمعركة لامارن ، ووصف الريفيون ببوشي إفريقيا (وكلمة بوش كانت تعني « ألماني » في الدعاية الفرنسية) . ويقول سيبولا بصدد تعلق الفرنسيين

باستيلائهم على المغرب : « لقد اعتقد الفرنسيون أنهم في بلدهم ، لهذا فإنهم لايرون غول الإسلام الذي يظهر على أطلال مكناس ، قرب أسوار أگدال الهائلة . هذا البلد المتداعي (المغرب) والمنهوك فتن الروح الفرنسية أكثر من أي بلد نائي آخر ، حيث أدى غليان وإمبريالية فرنسا التاريخية إلى تفعيل عدوانيتها تحت أشكال متعددة من أجل البحث عن الثروة » . وبتاريخ 6 يونيو 1925 ، ظهر مقال في " لاستنبا " ، وقد تألفت مادته الأساسية من حديث صحفي أجراه سيبولا مع الجنرال هاش ، قائد أركان حرب ليوطي ، الذي وصفه المراسل بـ « الرأس المدبر للعمليات التي أوقفت الهجوم الريفي » . وكان القنصل الإيطالي بالرباط ، طونسي ، هو الذي ساعد سيبولا على إجراء عدة لقاءات مع مسؤولين عسكريين و مدنيين كبار يعملون بالإدارة المركزية للحماية . وكتب سيبولا بهذا الصدد : « إنني متفائل (...) وأرى من الآن أن مصالح إيطاليا في هذا البلد مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمصالح الفرنسية . وإذا تزعزعت المصالح الفرنسية ، فإن التسعة أو العشرة آلاف إيطالي الذين يعيشون في المغرب سيجدون أنفسهم في وضع سيء » ، ويقول حول موضوع القواد المغاربة : « كل

القواد المغاربة ، سواء أكانوا صغارا أم كبارا ، أصبحوا أثرياء بفضل الحماية ، ولهذا فإنهم يعتبرون أقوى دعامة للنظام » . وحول قواد المنطقة الجنوبية بالتحديد ، كتب سيبولا ، يوم 26 يونيو 1925 ، موضحا وفاءهم لنظام الحماية وولاءهم لليوطي الذي يغذي الإنشقاقات والحزازات بينهم ، وفي نفس الوقت يجزل العطاء لكل واحد منهم على حدة . لكنهم فيما يتعلق بالقضية الريفية ، بدوا وكأنهم عاجزون عن تأدية مهمتهم : « إلا أن أمراء الأطلس اليوم ، فيما يخص عبد الكريم ، عبروا بكل احترام عن عدم قدرتهم على تلبية الدعوة الرامية إلى نقل « حركاتهم » إلى الشمال لدعم الجيش الفرنسي . وقالوا إن قبائلهم ترفض مجابهة بطل الاسلام » . وفيما يخص موقف السلطان مولاي يوسف من القضية الريفية ، فإنه خلافا لما كانت الدعاية الفرنسية تردده ، مدعية أن مولاي يوسف صرح بأن الريفيين ليسوا منه أو أنه قال : « إنني لا أعرفهم » ، كتب أرنالدو سيبولا : « الكل في المغرب يقول إن مولاي يوسف غير ذي شكيمة ، لكن هذا غير صحيح . لقد برهن مولاي يوسف عن قوة إرادته عندما قدم له ليوطي ظهيرا يتعلق بالتجنيد العسكري الإجباري ، فرفض أن يوقع عليه ،

مكذبا بذلك كل التـوقـعـات . ولم تنفع مـعــه لا إصـرارات الإقامـة العامة ولا تدخلات باشا مدينة مراكش » . وأورد سيبولا كذلك خبر عدد من الإعتقالات التي تعرض لها قضاة مغاربة في منطقة فاس ومكناس ، بهدف ممارسة مزيد من الضغط علـى القبائل التي كان هؤلاء القضاة ينتمون إليها حتى لا تبادر بتقديم أي دعم للريفيين .

نعم ، لقد تميزت مقالات " لاستنبا " بنوع من الكفاءة المهنيـة التي لا تخلو من أهمـيـة ، لكن خلفيـة سـيـاسـتـهـا الإعلامية هي نفس الخلفية التي كانت تعبر عنها مضامين مقالات الأغلبية الساحقة للصحف الإيطالية الأخرى . بمعنى آخر ، أن ردود الصحافة الإيطالية حول القضية الريفية بشكل عام لا تعدو كونها امتدادا لدعاية كولونيالية كلاسيكية من وجهة نظر إيطالية . ●

« لو لم تكن الجيوش الكولونيالية مدعومة بمئات الآلاف من المتعاونين المرتزقة ، لما استطاعت أن تقهر المقاومة الريفية . »

قرار الإستسلام

مما لا شك فيه أن تجربة المقاومة المغربية في الريف غنية جدا بالدروس والعبر ، ومهما قيل ومهما كتب عن الثورة الريفية فانها ما زالت في حاجة ماسة إلى مضاعفة المجهودات الجادة لإلقاء المزيد من الأضواء على مختلف مراحلها ، وتحليل مكوناتها في إطار شمولي مبني على البحث المتأني والدراسة المتمحصة لعناصرها المتداخلة ، وربط ظروف ظهورها وتطورها بسياقها التاريخي ومدلولها السياسي والفلسفي ، كل ذلك بهدف استثمار

نتائجها لفائدة الأجيال حاضرا ومستقبلا على اعتبارها حلقة متصلة من حلقات إثبات الذات الوطنية على أسس راسخة وفي مستوى تحديات المنعطفات التاريخية والهزات الفكرية والثقافية وما ينجم عنها من وثبات علمية وتموجات حضارية . انتهت حرب الريف وبقيت معطيات نتائجها العسكرية غير مضبوطة إلى حد الآن .

- **الحصيلة العسكرية :**

رغم مرور أكثر من سبعين عاما على أحداث حرب الريف ، فإن حصيلتها العسكرية مازالت غير معروفة على وجه الدقة : الخسائر الريفية غير معروفة بتاتا ، والخسائر الإسبانية كانت مرتفعة جدا ، حيث يعد القتلى بعشرات الآلاف ، ناهيك عن المعطوبين والجرحى والعتاد الحربي والمعدات ونفقات الحرب الباهظة ، وأما الخسائر الفرنسية فإنها أكثر بكثير مما صرحت به السلطات الفرنسية للرأي العام .

عندما قرر عبد الكريم استسلامه للفرنسيين ، في صبيحة يوم 26 ماي 1926 ، تحرك موكب يضم : 6 ضباط و8 ضباط مساعدين و 27 جنديا من الفرنسيين ، 112 جزائريا وسنغاليا ، 105 إسبانيا ، و 25 فردا لا يرتدون

الزي العسكري ، كانوا كلهم سجناء عند الريفيين . وكان موكب عبد الكريم يتألف من 220 بغلا حملت عليها عدة أشياء تمت مصادرتها من طرف الفرنسيين . وعلى الساعة الخامسة صباحا يوم 27 ماي 1926 ، وصل موكب عبد الكريم إلى المواقع الأمامية للفرقة العسكرية المغربية التي كان يقودها الجنرال ايبوس ، وكان الزعيم الريفي محاطا بالشريف حميدو الوزاني ، الذي سبق له أن تفاوض مع الفرنسيين حول شروط « الأمان » بشأن استسلام عبد الكريم ، والنقيب البحري مونتان ، والقبطان سيفارن من مصلحة الإستخبارات . ومن بين قادة الحركة الريفية الذين استسلموا للفرنسيين مع عبد الكريم ، كان هناك : عبد السلام ، محمد الخطابي . محمد أزرقان ، محمد بوجيبار ، عبد الكريم بن حدو ، محمد ولد الحاج والفقيه بولحية . ومن ضمن ما صرح به عبد الكريم للفرنسيين عقب استسلامه مباشرة : « حضارتكم مبنية على النار والحديد ! تتوفرون على قنابل و قذائف ضخمة ، لهذا تعتبرون أنفسكم متحضرين ! وليس لدي سوى خراطيش البندقية ، لهذا فإنكم تعتبرونني متوحشا ! » .

وفي يوم 21 أكتوبر 1925 ، قدم رئيس الوزراء

الفرنسي ، بول بانلوفي ، حصيلة أولية : 158.000 جندي خاضت المعارك ضد الريفيين ، وبلغت نفقات الدولة مليار و350 مليون فرنك ، أما الخسائر البشرية من بداية العمليات إلى حدود 15 أكتوبر 1925 ، فقد سجلت ، حسب تصريحه ، 2176 قتيلا ، منهم 59 ضابطا ، و8297 جريحا . وأعلن نائب كاتب الدولة لدى وزير الحرب ، يوم 23 دجنبر 1925 ، عن أرقام جديدة : (1) القتلى : 140 ضابطا و 2500 من الجنود ، من بينهم 1800 فرنسي . (2) المفقودون : 20 ضابطا و1200 من الجنود ، من بينهم 225 فرنسيا . على أن هذه الخسائر لاتهم إلا الفترة الممتدة ما بين أبريل ونونبر 1925 . وكان واضحا من خلال تضارب التصريحات نفسها أن الخسائر الفرنسية كانت أكثر من ذلك بكثير . ولو لم تكن الجيوش الكولونيالية مدعومة من طرف مئات الآلاف من المتعاونين المرتزقة ، لما استطاعت أن تقهر المقاومة الريفية التي كادت أن تنزل بالعدو هزيمة نكراء . وبعد ثلاثين سنة على حرب الريف ، صرح كل من كريستيان بينو وبيير كلوسترمان ، أمام البرلمان الفرنسي يوم 21 مارس 1956 ، بحصيلة أخرى إجمالية : « في سنة 1926 ، كان يلزمنا 325.000 رجل لكسب حرب الريف .

ولم تكن لعبد الكريم إلا فرقة واحدة من قبيلة بني إزناسن تتألف من حوالي 75.000 رجل ، وكان فقط زهاء 20.000 منهم مسلحين . حشدنا على خط النار 32 فرقة عسكرية و44 سربا من الطائرات المقاتلة ، والكل كان تحت قيادة 60 جنرالا وعلى رأسهم المارشال بيتان . هذا الجيش الفرنسي هو الجيش الذي خرج منتصرا من الحرب الكبرى 1914-1918 . وكان جيشا محترفا ومساندا من طرف ثلاثة أخماس سكان المغرب الذين دعمونا بـ 400.000 جندي إضافي » !

ومن جهتهم ، جمع الإسبان حشودا عسكرية وأسلحة حربية متطورة لاتقل أهمية مما كانت عليه القوات الفرنسية ، وأما الدعم العسكري الإنجليزي للقوات الكولونيالية المتحالفة فغير معروف . وهذا يعني أن ما إجماله مليون رجل مدججين بالسلاح وينتمون إلى جيوش نظامية تحتل الصدارة على المستوى العالمي ، كانوا في مواجهة حفنة من المقاومين لا يتعدى عددهم ستين ألف مجاهد كحد أقصى والذين كان أغلب سلاحهم يتألف من بنادق عادية . في ظروف والحالة هذه ، هل يعتبر ذلك نصرا للقوات المتحالفة ؟ على أي ، بالنسبة للريفيين يعد الذين استشهدوا منتصرين لأنهم ماتوا شهداء في سبيل الحق والحرية ودفاعا عن قضيتهم العادلة !

ومن هذا المنظور لا أعتقد أن الريفيين خسروا الحرب ، خاصة وأنه في إطار السيرورة التاريخية والإستمرارية النضالية التي ميزت الشخصية الريفية على توالي الأحقاب ، تجعل من حرب الثورة الريفية برمتها مجرد معركة ، أما حرب الكرامة والعز فستظل قائمة مادامت في الريف روح ترزق !

● **الحصيلة السياسية :**

نعم ، كانت الحركة الريفية مهيكلة عسكريا وسياسيا ، وجاءت بنتائج سياسية هامة ، من بينها زعزعة النسق الكولونيالي في العمق ، حيث ساهمت في تفتيت جبروته وفضح أساليبه المبغوضة ودعايته الحضارية الكاذبة ، ليس على الصعيد المغربي أو الشمال الإفريقي فحسب ، بل على الصعيد العالمي . وفعلا ، لقد أطلقها أبناء الريف صرخة مدوية في وجه الهمجية والطغيان ، وبلغت أصداؤها كل الآفاق ، وأعطت الأمل الكبير لكل الإنسانية المضطهدة في بزوغ عهد جديد ، حيث بات من الواضح أن أغلال الإستعمار والإمبريالية لابد وأن تنكسر تحت إرادة الشعوب من أجل الإنعتاق وطموحها الطبيعي للعيش في ظل الحرية والكرامة . واعترف العالم بأسره ، أعداءا وأصدقاءا ،

لأبناء الريف بشهامتهم المذهلة وقدرتهم الفائقة على التحدي . لقد استشهد بكفاحهم البطولي واستفاد من تجربتهم التاريخية زعماء وطنيون في آسيا وأمريكا اللاتينية . وعندما كان ماوتسي تونج وهوشي منه يذكران الثورة الريفية ، فإنهما لم يكونا يذكرانها من باب الإستحضار التأملي أو لمجرد الإشارة التاريخية ، وإنما يشيران الإنتباه إليها كمدرسة للتحرير بكل مفاهيمها العميقة وامتداداتها الزمانية والمكانية. إن الثورة الريفية ساهمت بكل تأكيد في تعزيز نظرة العنصر المغربي إلى تاريخه بدون أن يخجل من نفسه أو يفقد الثقة فيها ، وكانت هذه واحدة فقط من عصارات العبقرية الريفية التي حققها مجاهدو عبد الكريم بدمائهم الطاهرة ، وتركوها تحفة جهادية تتوارثها الأجيال وتحرص على الذود عن مضمون رسالتها بكل فخر واعتزاز .

لقد غادر عبد الكريم الريف بجسده ، لكن روحه وفكره ظلا سراجا منيرا لكل أبناء المغرب الغيورين على بلدهم والمتشبثين بهويتهم الثقافية والحضارية . ولاجدال في كونه من عظماء التاريخ ، كما أنه لا جدال في كون أبناء الريف باقين على العهد دفاعا عن الكرامة والعدل والحرية بالمفهوم

الصحيح الذي لا يترك مجالا للتلاعبات اللفظية والشعارات الزائفة . وبعد عمر حافل بالإنجازات البطولية والمواقف الوطنية الثابتة ، فارق الزعيم الريفي الحياة في يوم 6 فبراير 1963 بالقاهرة . وكأني به يردد مقولة مشهورة لبطل عربي ، لعله خالد بن الوليد : ها أنا أموت على فراشي ، وليس في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، فلا نامت أعين الجبناء !! ●

« محـمد بن عـبد الكريم الخطـابي في نظر الصحـافة التـقدمـية الأوربية ، أحد رموز التحرير العالمي . »

هذا الكتاب ..

بقلم : عبد العزيز خلوق التمسماني*

حظيت ثورة الريف بدراسات مونوغرافية جادة : اعتبرتها حدثا بارزا في تاريخ المقاومة المسلحة المغربية ، وانتفاضة فلاحية نضالية هزت قواعد الإمبريالية الأوربية وأعطت إشارة الإنطلاقة لحركة تحرير الشعوب المستعمرة المقهورة في المرحلة العشرينية . في هذا السياق ، يقدم الباحث الطيب بوتبقالت ـ في هذا العمل المفيد الذي تنشره

* باحث جامعي . رئيس شعبة التاريخ كلية الآداب بالرباط

« وكالة شراع » الفتية ـ صورة واضحة عن أصدائها في الصحافة الدولية المعاصرة لها .

يستهل تحليله بتسليط الأضواء على الجهاز الإعلامي الإسباني والفرنسي في المغرب ، الذي كان ينطوي على قدر كبير من البهتان وتشويه الحقائق وتزويرها ، وافتراء الأكاذيب التضليلية المتعلقة بالحملات العسكرية الغازية في الجبهة الريفية ، كاشفا النقاب عن الوسائل التي لجأ إليها هذا الجهاز لترويض المراسلين العسكريين ، مركزا أساسا على مواقف الصحافة الأوربية من الكفاح الريفي .

وهكذا ، يتقصى المؤلف مضامين مجموعة ضخمة من الصحف الإخبارية ، ويوضح وجهات نظرها وتفسيراتها ، ملاحظا أنها تنوعت بين مؤيدة للحركة الريفية الجهادية ، ومعادية لها . وهنا ، يورد أمثلة عنها ، مبرزا حملة الحزب الشيوعي الفرنسي المناهضة لسياسة القوة في الريف ، متحدثا بشكل واف عن الهزة العنيفة التي أحدثتها « إمارة » ابن عبد الكريم في الأوساط السياسية السوفياتية ، مستعرضا نداءات الحركات الإحتجاجية الواسعة التي عمت أرجاء العالم ضد سياسة القمع الإستعمارية في الأصقاع الريفية ، مهتما بالمقالات المنشورة

حول حرب الريف في الصحف اليومية الإسبانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية والسويسرية ، المساهمة في تكوين الرأي العام بتأثير كتابات مُحرِّريها وكتابها ، محاولا أن يستشف بروح نقدية ما وراءها من مواقف .

من جهة ، يرى الطيب بوتبقالت أن الصحافيين المناوئين للمقاومة الريفية جعلوها تمردا عشائريا محليا ، واعتبروا قيادتها رمزا للعصيان ، فرسموا لها صورة قاتمة ، وشوهوها في مظاهر سلبية .

من جهة أخرى ، يلاحظ الكاتب أن الصحافة التقدمية الأوربية اتخذت موقفا مناهضا للوجود الأجنبي الدخيل ، المتمثل في نظام الحماية المتسلط على البلاد . وقد استرعى محمد بن عبد الكريم الخطابي أنظارها بصفته أحد رموز التحرير العالمي ، وقائدا عسكريا فذا ، ومحررا، فقارنته بسيمون بوليفار (1783 ـ 1830) ، أحد أقطاب حركة التحرير في أمريكا اللاتينية ، واقترن صانع الملحمة الريفية ، في الصحافة السويسرية ، بغليوم تيل ، أحد رموزها البطولية المشهورة .

خلاصة القول : إن د . الطيب بوتبقالت بحث طويلا ، فوضع بين أيدينا إنجازا إعلاميا وتاريخيا تضمن أحكاما

تثير التساؤلات ، تدعونا إلى إعادة النظر فيما كتب عن المجاهدين الريفيين . فعمله يستحق التنويه ، لأنه بذل جهودا شاقة في تحليل المقالات الأجنبية النادرة الخاصة بهذه الحركة الوطنية التحريرية التي ظلت ـ لحد الآن ـ غامضة في كثير من جوانبها . ●

محتويات الكتاب :

صفحة

● شعـارنا الثقـافي والإعلامي في مـحيط العـمل والأسرة : «من أجل مجتمع مغربي قارئ ».

● الأعـداد السـابقـة مـــن «سلسلـة شـراع» ، توجـــد تحـت الطلب بوكالـة شـراع لخدمات الإعـلام والإتصال : (137 شارع ولي العهد ــ طنجة) .

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 1 / **مارس** (1996) :

● المهدي المنجرة ـ « **حوار التواصل** »

العدد 2 / **أبريل** :

● م.ع . المساري ـ « **المغرب بأصوات متعددة** »

العدد 3 / **ماي** :

● عبد الجبار السحيمي ـ « **بخط اليد** »

العدد 4 / **يونيو** :

● مصطفى القرشاوي ـ « **قضايا راهنة** »

العدد 5 / **يوليوز** :

● نجيب العوفي ـ « **مساءلة الحداثة** »

العدد 6 / **غشت** :

● وكالة شراع ـ « **باهي .. الصحافي والمناضل** »

العدد 7 / **سبتمبر** :

● لحسن العسبي ـ « **اللذة والعنف** »

العدد 8 / **أكتوبر** :

● عبد الله كنون ـ « **في اللغة والأدب** »

العدد 9 / **نوفمبر** :

● عبد الغني أبوالعزم ـ « **الثقافة والمجتمع المدني** »

العدد 10 / **ديسمبر** :

● قاسم الزهيري ـ « **قضايا وشجون** »

العدد 11 / **يناير** (1997) :

● العياشي أبو الشتاء ـ « **الباحة والسنديان** »

العدد 12 / **فبراير** :

● عبد الرفيع جواهري ـ « **أصحاب السعادة** »

العدد 13 / **مارس** :

● حسن نجمي ـ « **الناس والسلطة** »

العدد 14 / **أبريل** :

● الطيب بوتبقالت ـ « **عبد الكريم الخطابي** »

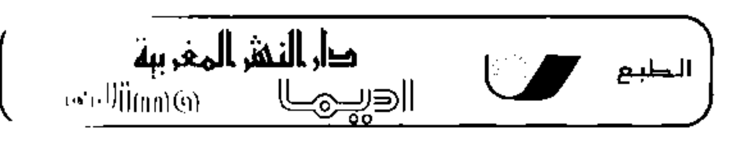


كـــتـــاب الشـــهـــر الـــقـــادم مـــن

« سلسلة شراع »

هاجس التغيير الديمقراطي

عبد القادر العلمي



التوزيع :

الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة

سبريس

رقم الإيداع القانوني :
1995 / 1043

SÉRIE "CHIRAA"

LIVRE MENSUEL PUBLIÉ CHAQUE MOIS
PAR L'AGENCE CHIRAA POUR SERVICES
D'INFORMATION ET COMMUNICATION

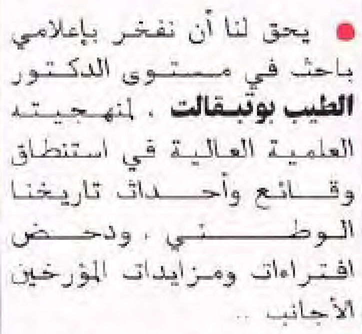
DIRECTEUR DE LA REDACTION : KHALID MECHBAL
CONSEILLER ARTISTIQUE : AHMED BEN YESSEF

CENTRE DIRECTION
137. PRINCE HÉRITIER - TANGER
TEL : 94.42.12
37.39.27
FAX : 94.42.16

QUATORZIEME NUMERO : DOU EL KAADA 1417 - AVRIL 1997

المؤلف





- يحق لنا أن نفخر بإعلامي باحث في مستوى الدكتور **الطيب بوتبقالت** ، لمنهجيته العلمية العالية في استنطاق وقائع وأحداث تاريخنا الوطني ، ودحض افتراءات ومزايدات المؤرخين الأجانب ..

- وكل كتابة سردية للتاريخ تكون ناقصة وغامضة وخادعة ، إذا لم تستند أساساً على عناصر الإستدلال والمقارنة والإستنتاج .. وهذا ما يميز أبحاث ودراسات صديقنا **الطيب بوتبقالت** ، فهو متمكن من أدواته المخبرية في تحليل وعلاج النصوص المرجعية القديمة ..

- الأوساط المهتمة في إعلام الغرب خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ، تشهد بكفاءته العلمية ، وتقدر فيه أناة الباحث المطلع الذي يجيد الغوص في أعماق التاريخ لاكتشاف خباياه وأسراره ..

- **الطيب بوتبقالت** من الدعاة المتحمسين إلى تجديد الخطاب الإعلامي في المغرب ..

خالد مشبال